

خالد عودة الله

# سِنْجَةُ سَيِّدِي يَامِنَة

سِيرَةُ فَلَسْطِينِيَّةٍ لِحَرْبِ الْإِمْپِرِيَالِيَّةِ



كتاب الجنوب

Alanziz Rieff  
الجنوب



سِنْجَة سِيّي يامنة: سِيرَة فلسطينيَّة لحربِ الإمبرياليَّة  
كتاب الجنوب: المجلة الفلسطينيَّة للدراسات التحرريَّة (2)

**سِنْجَة سِتّي يَامِنَة:**  
**سِيرَة فَلَسْطِينِيَّة لِحَرْبَةِ الإِمْپِرِيَالِيَّةِ، خَالِدُ عُودَةِ اللَّهِ**

**Sinja of Sitti Yaminah:  
A Palestinian Biography of The Bayonet  
of Imperialism, Khaled Odetallah**

دائرة سليمان الحلبي  
للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي  
القدس، فلسطين (الطبعة الأولى، 2025)  
تصميم الغلاف: محمد خيران  
لوحة الغلاف: العزيز عاطف  
التدقيق اللغوي: قسم الحاج وريتا أبو غوش  
جميع الحقوق محفوظة ©

## خالد عودة الله

---

سِنْجَةٌ سِتّيٌّ يامنة: سِيرَةٌ فلَسْطِينِيَّةٌ لِحُرْبِ الْإِمْپِرِيَالِيَّةِ



دائرة سليمان الحلبي  
للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي  
القدس، فلسطين

# المحتوى

- 11 . مقدمة
- 17 . شرق وغرب: من الحرب اليابانية (أريساكا-30) إلى الحرب البريطانية (1907)
- 23 . معركة "بورت آرثر": من 8 شباط إلى 23 كانون الأول 1904 الاستسلام الروسي
- 25 . استدراك أول: من "بورت آرثر" إلى الجليل
- 26 . استدراك ثانٍ: "لا تستطيع محاربة الدبابات بالحرب"
- 27 . الحرب سلاحاً للاهوت الذبح المتحضر
- 30 . استدراك: لاهوت الذبح المتحضر في عصر "الدرون"
- 31 . هرطقات إمبريالية: تحرير القدس بأسنة الحراب في الحرب العظمى!
- 34 . هستيريا الرجلة الإمبريالية
- 43 . معركة بئر السبع 31 تشرين الأول 1917:  
حراب الإمبريالية المتوجهة تحت شمس فلسطين
- 49 . أول الدم: مجزرة صرفند الخراب 1918
- 55 . المقبرة كمنهجة في كتابة تاريخ المجزرة
- 58 . القرية: صرفند الخراب التاريخ والموقع
- 59 . "البوبيرية" وبيير الغارب
- 64 . الحرب العالمية الأولى في فلسطين: العمليات العسكرية في قطاع صرفند حتى هدنة مودروس الموقعة في 30 أكتوبر 1918

		الليلة الليلاء: وقائع المجازرة	5.5
69	مجازرة صرفند الخراب 1918 في التاريخ والوعي الصرفندي	5.5.1	
79	مجازرة صرفند الخراب 1918 في التاريخ والوعي الأنجلو-صهيوني	5.5.2	
86		إعادة إعمار القرية	5.6
90		مجازرة صرفند الخراب صهيونياً	5.7
95		صرفند الخراب المحاصرة	5.8
102		أبراهام بلومفيلد: أبو بونس	5.9
105	استدراك: خيط الدم من صرفند الخراب إلى كفر قاسم	5.10	
		6. نفط وحراب في ليل الجليل الطويل	
106		"الماسورة"	6.1
114	أورد ونغيت ودرس يهوشوا بن نون	6.2	
119	لماذا الحرية طریز؟ 1907	6.3	
126	استدراك: الطريق إلى عین حارود	6.4	
127	بمثابة خاتمة لسيرة تأبی الختام	7	
129		الإحالات	
146		المرجعية	

## ملخص

هذه سيرة تاريخية فلسطينية الهوى لسنجة سٌتي يامنة (حربة بريطانية من الحرب العالمية الأولى- طراز 1907) كانت "سٌتي يامنة" قد اغتنمتها من أحد مواقع معارك الحرب العظيم في قريتنا بيت حنينا- القدس، لتصير بيدها سلاحاً وأداة تستخدمها في حياتها اليومية، أقصى فيها التاريخ العسكري والثقافي للحربة بصفتها رمزاً للإمبريالية البريطانية. بدأت بكتابة هذه السيرة من الحرب الروسية اليابانية (1904-1905) التي طُورت الحربة البريطانية (من طراز 1907) نتيجة لدورها العسكرية والاستشرافية مستنسخة حربة أريساكا اليابانية، وتتبّع نشوء وتطور المعاني الأيديولوجية للحربة في الثقافة الإمبريالية وفي الحروب الاستعمارية. ومن ثمَّ حملت ما جمعتُ من شتات هذا التاريخ الكوني للحربة وعدتُ به إلى فلسطين، إلى الحجر الأموي الريفي الذي تفتحَ وعيي فيه وبه لمعرفة نظام الأشياء، أساجل هذه الكونية تأويلاً ونقداً في ثلاث حالات دراسية/ لحظات دموية، هي: سيرة الحربة في معارك الخيالة الكبرى على أرض فلسطين في الحرب العظمى وما حملته الحربة من تمييز خاص في هذه الحرب بصفتها حرباً إمبريالية " المقدسه وفروسيه"؛ وال الحربة سلاحاً للاهوت الديني الإمبريالي في نشوء نموذج/ فكرة المجزرة الأنجلو-صهيونية في بلادنا فلسطين في دراسة مفصلة لمجزرة صرفند الخراب (1918-12-10)؛ وأيديولوجيا الحربة من طراز 1907) في إرهاب فرق الليل الأنجلو-صهيونية الخاصة التي أسسها وينغيت (1938) لقمع الثورة الفلسطينية الفلاحية الكبرى في لحظة تقاطعها مع السيرة الدموية المديدة للنفط العربي (النفط-المجزرة)، هذه الفرق التي شكلت النواة الأولى للجيش الصهيوني وطبعته بطبعه بطابع المجزرة المستمرة.

سِنْجَة سِتّي يامنة: سِيرَة فلسطينيَّة لحربِ الإمبرياليَّة

إلى سِتّي يامنة...



مرئية رقم (1): سِنْجَة سِيُّ يَامِنَة (حرب بريطانية من طراز 1907 - الحرب العالمية الأولى)، تصوير المؤلف، 2025

## مقدمة

هذه سِنْجَة سِتّي يامنة رحمها الله (جدني لأمي)، وتعود للحرب العالمية الأولى في فلسطين، رحلت سِتّي يامنة عن عالمنا قبل ولادي بعشرين سنة ولم تترك وراءها صورة. عشت ليالي على سيرتها في حجر أمي فاطمة، قدس الله سرّها، أصغر بناتها ورفيقة دربها، وأقرب أبنائهما وبناتها الثمانية إلى هيئتها وشخصيتها، كما اتفقت روایات أبنائهما وبناتها الذين رحلوا جميعهم عن عالمنا، أحارب أن أرکب صورتها بقوة الخيال والشوق من حكايات أمي عنها ومن أثرها الوحيد الباقي، من سِنْجَتها المحفوظة في حرز أبي.



مرئية رقم (2): دار سِتّي يامنة على الجبل، تصوير المؤلف، 2025

كانت سِتّي يامنة "رجالية" "حَقَّانية": لا تخاف أحداً ولا تهاب كبيراً ولا صغيراً، تدافع عن حدود أرضها حاملة سِنْجتها في صراعها مع كبار القرية (ولا كبير إلا الله) عند وضع حدود الأراضي في الطابو، ولا تنام قبل أن تطوف مسأة على بيوت بناتها المتزوجات لتطمئنَ بأنَّ كل واحدة مغلقة بابها عليها وعلى عيالها، ومن ثم تصعد إلى "زيتونات يونس" على مشارف القرية تنتظر بكرها (خالي محمد) على "ضُوء القداحَة" خوفاً عليه من الضياع، وهو الذي كان من عادته أن يصل القرية متأخراً بعد حلول الظلام من عمله في القدس. وفي سيرتها، سألتني للمرة الأولى بما سوف أعرفه من قراءتي لاحقاً باسم "فصائل السلام": في ثورة الـ 1936، عندما أغروا على قريتنا بيت حنينا للتهدب والتخريب في إحدى ليالي الثورة الفلسطينية الكبرى، فصاح أحد الجيران طلباً للنجدة، فخرجت لهم سِتّي يامنة وتعرّفت على رئيس العصابة "الهامل"، وترجمته بالحجارة.

في موسم البذار، كانت سِتّي يامنة تبذّر القمح حتى في عين الخَرَامة (أي كانت تستغل كل رقعة من التراب، حتى قليله الموجود في ثقوب الصخور) في أرضها في "راس الطويل"، شرق القرية، ما كان يعرف في المعجم الزراعي للقرية بـ"الفطم الشرقي" (إذ قسمت أراضي القرية، زراعياً، إلى فُطم شرقي وفُطم غربي تناوبت زراعة الأرض بينهما كلَّ سنة)، حيث تجثم الآن مستعمرة "بسغات زيف" عليها. وعندما رحلت سِتّي قال أهل القرية: "مات الصابط"، وبعد رحيلها قال جدي عبد القادر، بعدما اقترح عليه أقرباؤه الزواج ثانية: "تُحرِّم علىَ النِّسوان مِنْ بَعْدِكِ يا يامنة"، وبقي وفياً لها ولذكرها حتى وافته المنية بعدها بثلاثين سنة.

لا أدرى على وجه التحديد كيف اغتنمت سِتّي يامنة السِّنْجَة البريطانية! هل وجدها في أرضها في "رأس الطويل"، حيث دارت معركة "راس الطويل" في الحرب العالمية الأولى في محاولة الجيش العثماني اليائسة الأخيرة في 24 كانون الأول 1917 لاستعادة القدس من يد الإنجليز؟ أم في الجبل، حيث تقع دارها، والذي شهد هو الآخر معارك طاحنة ضمن معارك شمال غرب القدس في الحرب العظمى، ما بين 21 تشرين الثاني

وحتى 24 كانون الأول 1917، أم وجدتها وهي تجول في أراضي قريتنا للتحطيم وقلع النَّتِيش في موقع آخر من موقع المعارك المنتشرة بكثرة في أرض قريتنا!

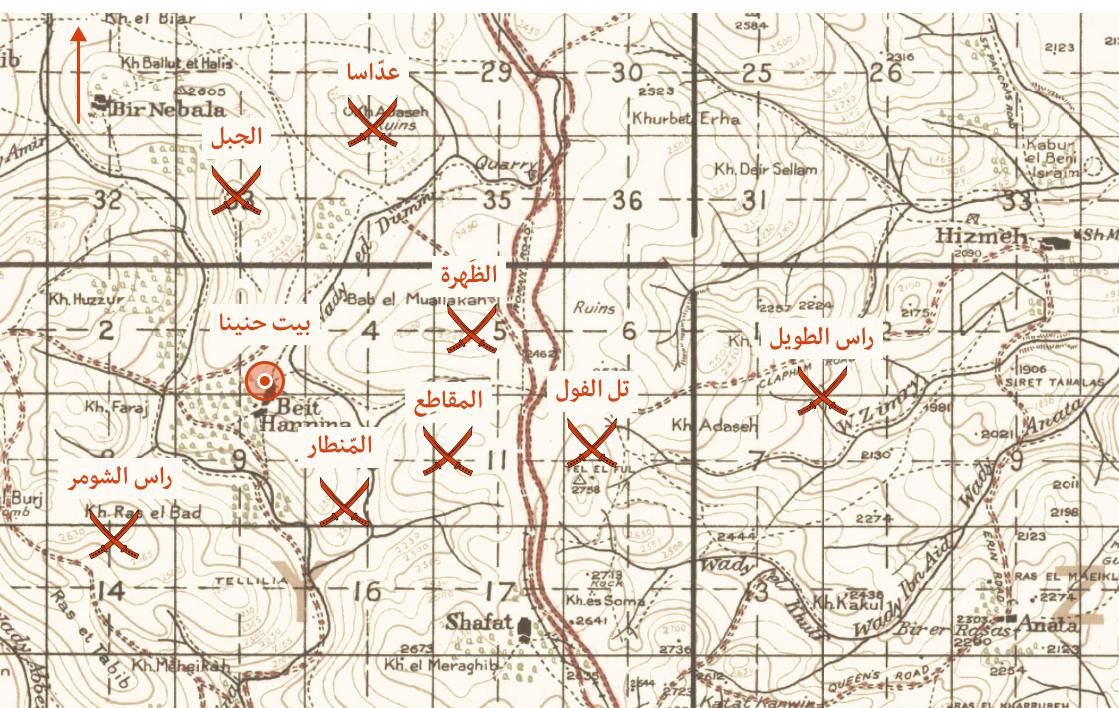
كبرت والسُّنْجَة في مركِّز عالَمِي الذي كانت تتسع دائِرَتِه بالقراءة والتَّجوَال... وقبل ستَّ سنين أصابتني حُمَّى قصُّ أثر معارك الحرب العالمية الأولى في فلسطين لتصير الدائرة أوسع وأعمق، حيث تتَّبعُتها من حدود سيناء جنوباً حتى جسر بنات يعقوب على تخوم الجولان السوري المحتل شمَالاً، وجمعت العشرات من بقايا المعارك، وصرت خبيراً في تشخيصها، والسُّنْجَة باقية على حالها أداة للخيال والحنين... استمر ذلك إلى أن هتف بي هاتف قبل ثلاث سنين أن أتمَّلِ السُّنْجَة بعين المؤرخ العسكري بما حصلَ عليه من معرفة موسوعية بأسلحة الحرب العظمى وفنون تشخيصها. تفَحَّصْت السُّنْجَة، فلم أجد دمغاً عليها كالعادة يهدِيني إلى فُك طلاسمها، ما زاد فضولي... فقرأت كل ما أستطيع الوصول إليه حول الحِرَاب وتاريخها إلى أن تمكَّنت من تشخيصها، وإذا هي حربة بندقية بريطانية من طراز (Pattern bayonet 1907) كما أطلق عليها اسم "الحربة السييف" (Sword Bayonet) لطولها المفرط البالغ 55 سم، وهي معدَّة للثبيت على بندقية "لي انفييلد" المحسنة القصيرة (Short Magazine Lee–Enfield rifle MK1-SMLE). اعتمد البريطانيون في تصميم هذه الحربة على تصميم الحربة اليابانية "أريساكا"- طراز 30 (سنوات الخدمة 1897-1945) كما سيأتي تفصيله تاليًا، وبدأ العمل على التصميم في العام 1907، ومن هنا جاء اسمها، ودخلت مرحلة التصنيع في العام 1908 وبقيت مستخدمة حتى العام 1945. وقد جاءت السُّنْجَة بفلجين (والفلج تجويف طولي في النصل) لتوجيه الدم المتدفع خارج الجسد المطعون لزيادة كثافة النزيف ولتخفييف وزن الحربة التي تزن 468 غم.<sup>¹</sup>

بعد أن قمت بفحص دقيق لسُنْجَة سِتِّي يامنة، ومع أن دماغة المصنوع التي تحمل اسم الشركة المصنعة وتاريخ الصنع قد تَأكَّلت بسبب الاستخدام المكثُّف وعامل الزمن، أمكنني تحديد تاريخ صناعتها ما بين العامين 1914 - 1915 بالاستناد إلى القرائن التالية: غياب ثقب التنظيف على مقبضها والذي تمَّ استحداثه في الطراز ذاته في العام

1916؛ وأن الحراب المصنّعة من الطراز ذاته كانت ذات عارضة معقوفة حتى العام 1913، حيث تم تعديل عارضتها لتصبح مستقيمة بعد أن أثبتت التجربة القتالية البريطانية عدم عملية عارضتها المعقوفة في النسخة الأولى من الحرب.

يا إلهي! جلتُ البلاد طولاً وعرضًا بحثاً عن آثار الحرب العالمية الأولى "وأجمل" وأكمل آثارها جاثمة أمامي منذ عشرات السنين... أي سجل دم يحفظه معدنها؟ وأي أرواح كانت السّنجة آخر عهدها بهذا العالم؟ وكيف صارت أدلة الموت الإمبريالي هذه سلحاً في يد سُتي يامنة تدافع بها عن حدود أرضها؟ وأي قوة منحتها فوق قوتها؟ وأي أثر كان لها على أمي فاطمة وهي ترقب أمها شاهرة سنجتها؟ تقول إحدى نظريات الوعي التي أحب إن كل ما في هذا العالم من كائنات سواء كانت من الأحياء أو الجمادات ما هي إلا تكثيف للوعي الكوني اتخذ شكلاً ما. هل وصلت إلى التاريخ العسكري بوعي الذاتي أم بتأثير كامن في من وعي السّنجة في علاقتي الممتدة بها؟ وهل كانت كل هذه الرحلة المعرفية ضرورية لأعود يوماً لتروي السّنجة سيرتها من خلالي؟ أي قوة كامنة في السّنجة التي فتحت مساراً في حياة طفل في حجر امرأة ريفية وصل أقاصي المعמורה لكي يجمع شتات وعي مبثوث عالمياً ليعيده إلى ذات الحجر في معرفة الأشياء لتكشف عن بعض حقيقتها؟ وهل أكتب الآن تاريخ السّنجة أم أنها طريقة سُتي يامنة في إعلان حضورها المتجدد وقد ذابت في التراب ولم ترك وراءها أثراً غيرها، فبُثت في الفضول ونهم المعرفة لاعطى كل هذه المعاني لسنجتها المنسية، ولتحضر هي في كل تفاصيل العالم والأشياء والتاريخ واقفةً على شرفة بيتهما في الجبل تُطلُّ على تاريخ العالم بأفكاره وإمبراطورياته العابرة في دروب قريتنا نحو مركز الوعي الكوني بذاته، القدس؟

يا إلهي ماذا عليَّ أن أغلق من نوافذ الوعي والإحساس لكي أستمر بكتابه هذه السيرة ولا أبقى عالقاً في هذه المقدمة إلى الأبد...؟



مرئية رقم (3): مواقع معارك الحرب العالمية الأولى في قرية بيت حنينا حددتها الباحث على خريطة المسح الميداني لفيلق المهندسين الملكيين في الجيش البريطاني (1917-1919)، المكتبة الوطنية الأسترالية، 1919.



مرئية رقم (4): مشاركة الباحث في حفرية لقرى جماع للجنود العثمانيين  
في الحرب العظمى اكتشفه بالصدفة راي أغنام في العام 2022  
في منطقة الجبل-بيت حنينا، تصوير مهند نيروخ، 2022.

## شرق وغرب: من الحرب اليابانية (أريساكا-30) إلى الحرب البريطانية (1907)

تبدأ سيرة حربة سٌتي يامنة من الحرب الروسية اليابانية (1904-1905)<sup>2</sup>، والتي انتهت بانتصار اليابان على روسيا، أول انتصار في العصر الحديث لقوة آسيوية على قوة أوروبية. كانت لهذه الحرب تأثيرات بعيدة المدى على العالم الحديث، ويمكن القول إنها أطلقت عملية تاريخية نتجت عنها الحرب العالمية الأولى ومن ثم الثانية بالمنطق التاريخي. وهنا تجب الإشارة إلى أن هذه الحرب جرى تهميشها في كتابة التاريخ الحديث من قبل المركزية الأوروبية، وإن جرت مساعٍ لتدارك هذا التهميش بحثاً في السنوات العشرين الماضية. وقد كانت هزيمة روسيا القىصرية في الحرب أحد العوامل الرئيسية في تصاعد الغضب الشعبي، الذي تجمّعت روافده ووصلت إلى ذروتها في ثورة تشرين الأول / أكتوبر البلشفية 1917، هذه الحرب التي جرى تصويرها في الصحافة الغربية للرأي العام بصفتها حرب داود الياباني ضدَّ جالوت الروسي<sup>3</sup>، وهي ذات المماثلة التي استخدمها الصهاينة في بناء أسطورة انتصارهم في حرب نكبة 1948 وصدّروها للعالم.

وأما في التاريخ الجنوبي للحرب، فلم تَنل هذه الحرب، إلى يومنا هذا، الموقع المستحق في الوعي التاريخي التحرري، بالنظر إلى تأثيرها المعنوي بعيد المدى على دول الجنوب في القارات الثلاث في تشكُّل الهوية الشرقية الجامحة المضادة للهيمنة الغربية، وفي نشوء الفكر العالميّالتحقّي التحرري من الاستعمار الغربي في مصر والمهدى وإندونيسيا وأفريقيا وإيران وتركيا، وخاصةً بما أدَّت إليه من سلسلة الثورات الدستورية التي تلت الحرب. يقول الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل (1874-1908) في كتابه الشمس المشرقة: "... وأن لا بدَّ لها من الاستسلام للغرب وقبول حكمه وسلطانه بلا عمل للحاضر وبلا جهاد في سبيل المستقبل. فقادت أمّة اليابان مكذبة هذه الدعاوى منادية الشرقيين أجمعين بأن طريق الارتقاء مُيَسِّر لقادته... تسأّل الناس بدهشة وتعجب من هذا الشعب الذي خرج من القبور ليزعج الأحياء بأصوات مدافعه وحركات جنوده في البحر والبر."<sup>4</sup>

لقد كانت هذه الحرب نصراً معنوياً جنوبياً كبيراً حفّز الشرق لاستعادة ثقته بذاته في الصراع مع الغرب الاستعماري الحداثي وتحدي مقولات التخلف والتقدم، وكانت دليلاً على أن الانتصار العسكري على الغرب، وليس فقط معرفة الحقوق القانونية والأفكار الحداثية، هو الطريق إلى تحقيق العدالة والاعتراف بالحقوق في النظام الدولي في بداية القرن العشرين. كما كان للانتصار الياباني تأثير قوي على إحياء فكرة الجامعة الإسلامية<sup>5</sup> ونشوء النموذج الياباني في التحدي كنموذج نهضوي تحديدي. هذا النموذج الذي استقرت صورته في الثقافة العربية باختزاله في إصلاحات "الميجي" دون إعطاء دور البعد العسكري في الصعود الياباني حقه، أي الحرب طريقاً للنهضة، وما أداه هذا الاختزال، من جملة أسباب، إلى دخول الثقافة العربية النقدية في المتأتias اللازهائية للنقد الثقافي للهزيمة. أما قسمة فلسطين ونصيبها من الحرب الروسية اليابانية، فقد أوصلت دروب التاريخ إليها أسوأ تأثيراتها: الاستيطان الصهيوني المحارب...

وأما بكون هذه الحرب فصلاً في سيرة سِنْجَة سِتّي يامنة، فإليكم بيانه: كانت الحرب الروسية اليابانية (1905-1904) أولى الحروب التكنولوجية الحديثة التي استُخدمت في ميادينها آخر ما توصلت إليه التكنولوجيا العسكرية حينها من قبل الطرفين، مثل البنادقية آلية التلقيم والشاشات الآلية والمدفعية والألغام البحرية الاستشعرية... وغيرها. ولهذا، جرت عملية مراقبة ومتابعة حثيثة ليوميات هذه الحرب من قبل الخبراء العسكريين الأوروبيين والأمريكيين، وبشكل خاص البريطانيين القلقين على مستقبل الإمبراطورية وتحديات هيمنتها المستجدة. وقد تحولت الحرب إلى اهتمام دراسي وبحثي، خاصة فيما يتعلق بمراقبة دور التكنولوجيا العسكرية الحديثة وأثرها في الحروب. ومع أن الجيش الياباني، الذي خرج منتصراً في الحرب، كان مجهاً بأخر ما توصلت إليه التكنولوجيا العسكرية آنذاك، إلا أن تكتيك الهجمات الانقضاضية لسلاح المشاة الياباني بحراب "أريساكا" (من طراز 30 وبطول 51 سم) والتي تشبه السيف وتكون مثبتة على بندقية "أريساكا" اليابانية من طراز 30<sup>6</sup> قد حظي باهتمام خاص في المراقبة والبحث، وذلك في معرض التساؤل عن مستقبل دور جنود المشاة في الحروب التكنولوجية الحديثة.



مرئية رقم (5): الحربة اليابانية أريساكا طراز -30 سنوات الخدمة 1897-1945، متحف الحرب الامبراطوري، 1914.<sup>7</sup>

لم يكن تطوير حربة "أريساكا"، نسبة للكولونيل "أريساكا ناريaki" الذي أشرف على تصميمها، بعيداً عن جدلية الشرق والغرب، بل جاء ضمن تحديات اليابان لبنيتها العسكرية في مواجهة الخطر الإمبريالي الغربي المتعاظم. وضمن هذا المسعى التحديي، تبنت اليابان البندقية والحربة من الجيوش الأوروبية دون أن تغفل دمج قيمها الثقافية والروحية "الشرقية" في هذه التحديات، فتشكل الجيش الإمبراطوري الياباني بهوية عسكرية هجينة تجمع الحداثة والأصالة؛ هذه الثنائية المزمنة التي أنتجها صعود الغرب كقوة استعمارية تكنولوجية حديثة في المجتمعات الشرقية. في المحصلة، ولدت حربة "أريساكا" في هذا السياق التحديي الواسع لثورة "الميجي" التحديية (1868-1912)، فجاء تصميمها متأثراً بتصميم سيف الساموراي (كاتانا)، كما الرمز التاريخي للمحارب الياباني الجامع للاحترافية وشرف القتال حتى الموت. كما كانت "عقيدة الحرب" اليابانية المحملة بال מורوث الثقافي لمحارب الساموراي تكتيكاً تحديدياً ضمن مسعى سلطة "ميجي" في مشروعها التحديي للجيش الياباني القائم على تفكيك هيمنة طبقة الساموراي الموروثة من النظام السابق وتحويل المحارب الياباني من الساموراي إلى الجندي الحديث.<sup>8</sup> وما زالت حربة "أريساكا - 30" حاضرة بقوه إلى يومنا هذا في الثقافة اليابانية، خاصة في فن الأنديمي الياباني.



مرئية رقم (6): الحرية "أريساكا - 30" في المانغا والأنيمي الياباني الشهير

"غولدين كاموي" الذي تدور أحداثه في الحرب الروسية - اليابانية، ويكيبيديا، 2014.<sup>9</sup>

لقد أوصل الدور الذي لعبته الهجمات الانقضاضية بالحراب لسلاح المشاة الياباني في تحقيق النصر (وتحديداً في معركة "بورت آرثر - منشوريا"، التي تحولت إلى أسطورة قومية يابانية) المراقبين العسكريين الإنجليز إلى القناعة بأن الحراب لم تفقد أهميتها في الحرب الحديثة، فقام الإنجليز بنسخ النموذج الياباني للحربة القتالية "أريساكا-30" التي تتخد شكل السيف، وصمّموا الحربة البريطانية (من طراز 1907-سِنْجِي سِتِي يامنة) ببناءً عليه. تجاوز الاهتمام البريطاني بالحراب اليابانية الاهتمام الكلاسيكي للخبراء العسكريين، المتمثّل بدراسة المواجهات العسكرية لأخذ الدروس وال عبر، والمحمول على دوافع إمبريالية تتعلّق بالحاجة إلى رفع كفاءة جنود الإمبراطورية قليلاً العدد للقمع والسيطرة على شعوب المستعمرات ومواجهة خصومها الإمبرياليين، روسيا وفرنسا، إلى تبنّيه وإعجاب المراقبين العسكريين الإنجليز بدور الثقافة اليابانية الشرقية في تحقيق النصر، وخاصة قيم الفروسية والشرف والتضحية، والتي رأوا فيها، من منظور استشراقي، نقيراً للتحولات في الجنديّة في المجتمعات الغربية بسبب التصنيع والرأسمالية.<sup>10</sup>

إذاً، تحولت دراسة الحرب الروسية اليابانية إلى موضوع للاستشراق العسكري من قبل شبكة من المراقبين العسكريين، ومئات المراسلين الصحافيين الذين نقلوا أحداث الحرب يوماً بيوم. وما يهمّنا هنا هو إرسال أوروبا ما يقارب 83 مراقباً دولياً<sup>11</sup> من ضمنهم العديد من المراقبين العسكريين الإنجليز، إلى اليابان لتصبح موقعًا لنقد الأوروبيين لمجتمعاتهم من باب التساؤل عن سرّ انتصار اليابان غير المتوقّع.

أعلن المراقبون العسكريون البريطانيون، وقد صاروا مستشراين، أن سبب انتصار اليابان الرئيسي في الحرب يعود إلى نجاحها في تحويل قوّتها الاجتماعية والثقافية والسياسية إلى تفوق عسكري،<sup>12</sup> من منظور تحليلي هو "الثقافة الاستراتيجية" كما سُتُّسمى لاحقاً في سبعينيات القرن العشرين، والتي تشير إلى الكل المركّب من الهوية والقيم الاجتماعية والشخصية التاريخية وطائق التفكير والتحليل والعقيدة العسكرية لمجتمع ما. وبهذا، لم تقتصر كتابات وتقارير المراقبين العسكريين الإنجليز على الدروس العسكرية المباشرة

المستفادة من الحرب ذات النتيجة الصادمة، وتجاوزتها إلى رؤية الدونية هذه المرة في المجتمع الأوروبي ذاته لا في "الآخر" الشرقي كما هو الحال في المنطق الاستشرافي المتعارف عليه. وتحولت طريقة اليابانيين في القتال، بصفتها تعبيراً عن المجتمع والثقافة اليابانية، إلى محاكمة للمجتمع الأوروبي والبريطاني، تحديداً عندما أثار انتصار مجتمع شرق فتى على إمبراطورية أوروبية الهمج الإمبريالي من إمكانية تكراره ضد إمبراطورية البريطانية ذاتها.

وفي المركز من هذا الاهتمام، كانت قدرة المجتمع الياباني على تحمل خسائر هائلة في الأرواح والاستعداد للتضحية والموت بالألاف، خاصة في مجتمع مر بعملية تحديث مكثفة في ثورة "الميجي" (1868-1912). هنا، ظهرت مسألة الأصالة المعتبر عنها بتقاليد الحرب اليابانية (البوشيدو)<sup>13</sup> والمعاصرة، أي التحديث العسكري المبني على النموذج الأوروبي. ولكن هذه المرة في داخل الغرب ذاته لمواجهة ما تم تشخيصه بـ"الانتكاس القومي" في المجتمعات الأوروبية الحداثية<sup>14</sup>، أي ما سببته التحولات الحداثية، كالتصنيع والتمدن وارتفاع مستوى المعيشة والحياة المادية، من انحدار في قدرة المجتمع البريطاني على تحمل الخسائر والتضحية في الحروب. ومن هنا، ازداد الاهتمام بالنظام التعليمي الياباني من حيث فاعليته في الحفاظ على الروح القتالية في عصر حداثي وإمكانية استنساخ هذه الفلسفة التعليمية في بريطانيا لنهضة المجتمع الحداثي المحارب، وأوصل المحارب الياباني بحربة "أريساكا" الأوروبيين إلى البحث عن معنى جديد للحرب المقدّسة في العصر الليبرالي، فاهتدوا إلى قداسة لا زلنا نكتوي بنارها إلى يومنا هذا، ألا وهي حرب الدفاع عن القيم الليبرالية، الدين الجديد لأوروبا الخرفة.

## 2.1 معركة "بورت آرثر"

من 8 شباط إلى 23 كانون الأول - 1904 الاستسلام الروسي



مرئية رقم (7): معركة حصن "بورت آرثر"، للرسام الياباني شيكو، متحف سانت لويس للفن، 1904.

توصل المخطط العسكري البريطاني إلى أن مفتاح الانتصار في الحروب الحديثة لا تحدده القوة النارية فقط، وإنما الهجمات المركبة لكتلة كبيرة من جنود المشاة ذوي المعنويات العالية والقدرة القتالية. كانت القراءة العسكرية الأوروبية لدروس الحرب الروسية اليابانية، باعتبارها الحرب الحديثة الأولى، مبهورة بالإنجاز الياباني وخاصة في معركة "بورت آرثر"<sup>16</sup>، التي عززت القناعة بضرورة التمسك بأولية الهجوم، على الرغم من دخول الرشاش الآلي المعركة، الذي حصدآلاف القتلى من الجنود، وكذلك التقليل من مركزية

دور القوة النارية للأسلحة الحديثة في تحقيق النصر على الخصم. وبذلك، فقد أغفلت القراءة الأوروبية الدرس الدفاني للقوى الروسية التي مكنتها عقيدتها الدفاعية، وعلى الرغم من خسارتها الحرب، من النجاة بالجيش الروسي من الإبادة الكلية في عصر الحروب القومية التي جعلت إبادة الخصم هدفاً، لا فرض الإرادة السياسية عليه فقط. هنا، تبلورت المسألة، أو التحدي، في كيفية تنفيذ العمليات الهجومية في عصر الحروب الحديثة في مواجهة آلات القتل الآلية. وبصيغة أخرى، صار مفتاح المسألة المتعلقة بالعقيدة الهجومية التصالح مع تكبُّد خسائر بشرية بأعداد كبيرة كضرورة للجسم الهجومي دون إغفال القوة النارية كعامل مساند لهجوم سلاح المشاة. كما أثبتت ذلك معركة "بورت آرثر" التي انتهت بسقوط الحصن الروسي المنيع بعد خمسة أشهر من الحصار الياباني إثر الجسم بهجمات انقضاضية انتشارية بالحراب اليابانية، والتي خلقت عشرات الآلاف من القتلى في صفوف القوات الروسية، إلى جانب أكثر من 57 ألف قتيل ياباني. وهنا أيضاً، تم تهميش التغييرات التكنولوجية التي شهدتها الحرب الروسية اليابانية لصالح التشديد على الدور الحاسم للروح القتالية والاستعداد للضحية كما جسده الجندي الياباني، كإحدى تبعات الاستشراق العسكري المشار إليه آنفًا. وأما فيما يتعلق بدور الحربة في الحرب الحديثة، فكان الاستنتاج بأن الحربة ليست سلاحاً ينتمي إلى الماضي، وإنما يجب إعادة تأهيله في العقيدة العسكرية الهجومية المستحدثة. وبطبيعة الحال، كانت هذه الاستنتاجات كارثية كما أثبتته حقول الموت - حرب الخنادق على الجبهة الغربية في الحرب العالمية الأولى، حيث قُتِل الملايين من جنود المشاة الذين حصدتهم الرشاشات الآلية للمدافعين على خطوط التماس.<sup>17</sup>

تطور التكتيك القتالي لسلاح المشاة البريطاني تحت مسمى "القوة النارية والحركة"، أي مرافقة نارية لقوى المشاة حتى وصولها إلى ما يقارب 200 متر من الخصم، ومن ثم الاندفاع الهجومي السريع بالحراب لجسم المواجهة. ولملاعمة هذا التكتيك، تم تزويد سلاح المشاة البريطاني في العام 1904 ببنادقية "لي إنفيلد" القصيرة Lee-Enfield سلاح المشاة البريطاني في العام 1904 ببنادقية "لي إنفيلد" القصيرة Lee-Enfield (Lee-Enfield - MLE)، وهي النسخة المطورة عن سابقتها (Lee-Enfield - SMLE)، وهي النسخة المطورة عن سابقتها (Lee-Enfield - MLE) وتمتاز عنها

بكونها أقصر بـ 13 سم وتزن أقل منها بحوالي النصف كيلوغرام، ما يجعلها أكثر ملائمة للحرب المتحركة والانقضاض على الخصم، كما زُوّدت البنديقة المعدّلة بحربة (من طراز 1903) بطول 42 سم، بحدٌّ مزدوج وبعارضة مستقيمة (تفصل المقبض عن النصل). ولكن بعد تقصير البنديقة وتزويدها بحربة بطول 42 سم، تنبأ الخبراء الإنجليز إلى أن حربة بهذا الطول ستجعل الجندي البريطاني في موقع أضعف في القتال مقارنة بطول سلاح الخصم. وبالعودة إلى دروس الحرب اليابانية الروسية، فقد تم الاستغناء عن هذه الحربة واعتماد تصميم حربة "أريساكا" اليابانية في الحرب الجديدة (من طراز 1907) بطول 55 سم. لقد كانت ثقافة الحربة البريطانية المستجدة، كما عبرت عنها الحربة (من طراز 1907)، نتيجة للدرس الياباني: عسكرياً من حيث نجاعتها الميدانية، واستشرافيًّا بصفتها الوسيلة-الأداة التي تبقى على الروح الفروسية القتالية للجندي البريطاني في عصر الحروب التكنولوجية.

## 2.2 استدراك أول: من "بورت آرثر" إلى الجليل

قاتل يوسف ترومبيلدور في الحرب الروسية اليابانية في الجيش القيصري الروسي، والذي لُقب بـ "بطل معركة بورت آرثر" بعد أن حصل على وسام الشجاعة في قتال اليابانيين وبُترت يده، وكان قاتله المستميت بدافِ إثبات رجولية اليهودي لدحض النظرة الدونية من قبل الجنود الروس للجنود اليهود في الجيش الإمبراطوري. وقد كان لمعركة "بورت آرثر" تأثيراً حاسماً في تشكيل شخصيته، فلم يكن صهيونياً حالماً منذ مراهقته بإنشاء مجتمع زراعي في فلسطين كما تصفه أسطورة "تل حاي" الصهيونية، وإنما جاء إلى فلسطين بعد انسداد الطريق أمامه لتحقيق أحلامه في التدرج القيادي في الجيش الإمبراطوري الروسي وإنشاء مجتمع زراعي يهودي في أوروبا لنقض صورة اليهودي الطفيلي وبتأثير من كتابات ليو تولستوي.<sup>18</sup>

في العام 1920، قُتل يوسف ترومبيلدور برفقة سبعة مستوطنيين في هجوم عربي على مستوطنة "تل حاي" (طلحة البرانية- قضاء صفد)، وتم تحويل المعركة إلى واحدة من أهم الأساطير المؤسسة للاستيطان الصهيوني المحارب في بلادنا فلسطين، والتي ترمز

إلى "الضحية والموت" في سبيل الاستيطان الصهيوني، ومن ثم تحول موقع المعركة إلى موقع للذاكرة ومحجٌ للأجيال الصهيونية المتعاقبة حتى يومنا هذا.

### 2.3 استدراك ثانٍ: "لا تستطيع محاربة الدبابات بالحرب"

ستدور الأيام، وسيستخدم الإنجليز والأmericans في حربهم النفسية على الجيش الياباني في الحرب العالمية الثانية مناشير مروسة بعبارة "لا تستطيع محاربة الدبابات بالحرب"<sup>19</sup> باللغة اليابانية تدعو الجنود اليابانيين إلى الاستسلام، ولتحوّل حربة "أريساكا" من رمز للنبل العسكري الياباني إلى رمز للهجمة اليابانية في الحرب العالمية الثانية.



مرثية رقم (8): المنشور الدعائي الذي كتب خلفه

"لا تستطيع محاربة الدبابات بالحرب"، صفحة المحارب النفسي، 2022.<sup>20</sup>

## الحربة سلاحاً للاهوت الذبح المتحضر

عادةً ما تهيمن على التاريخ العسكري الإمبريالي مركبة الفارق التكنولوجي في الحروب الاستعمارية، وذلك بالنظر إلى الدور الحاسم للأسلحة الآلية في التوسيع والعنف والقمع الاستعماري، خاصة الرشاشات الآلية كمدفع مكسيم الرشاش (1884) الذي أصبح رمزاً للإمبريالية، وغياب عن هذا التاريخ دور الحربة في العنف الاستعماري. قد يبدو للوهلة الأولى أن الحربة أصبحت خارج الزمن الاستعماري الحداثي، لكنَّ التدقيق في الأدبيات الاستعمارية لهذه الحروب يكشف بأنَّ الحربة لعبت دوراً مركزياً في عملية بناء الهوية القاتالية "الحضارية" للمحارب الإمبريالي، بعكس المتوقع بأنَّ التكنولوجيا هي الرمز المستحق لهكذا عملية، أي اعتبار السلاح الآلي المتقدم تعبيراً عن التفوق الحضاري الإمبريالي على الشعوب المستعمرة التي تقاتل بأسلحة تقليدية تتمثل في "السلاح الأبيض"، كالسيوف والخناجر والرماح والنبل. في الحقيقة، لقد احتلت الحربة هذا الموقع في الحروب الاستعمارية ضمن التناقضات التي سببتها التكنولوجيا في معنى البطولة والنبل القاتالي عند المحارب الإمبريالي من جهة، وفي عملية بناء الفارق الاستعماري ما بين "المستعمر المتحضر" و"المستعمر البدائي" من جهة أخرى.



مرئية رقم (9): لوحة بريطانية لمعركة إيساندلوانا، تشارلز فرير، متحف الجيش الوطني، 1885.<sup>21</sup>

إن كل سلاح، بما هو أداة، يكتنز في داخله مكوناً ثقافياً يتتجاوز كونه أداة عملية للقتل. وفي تshireح الأسلحة، كمنتج مجتمعي، تظهر المعاني والرموز المهوياتية الثقافية والنفسية المشكّلة لجدلية الذات والآخر في ميدان العداوة. وبهذا، فإن سيرة كل سلاح تتعدّى الأبعاد التقنية لتصميمه وتكلّمات استخدامه وموقعه في العقيدة القتالية. وقد تشكّل معنى الحرب الإمبريالية في الثقافة العسكرية الأوروبيّة أثناء الصدام مع الشعوب "البدائية" في الإطار العام للرؤيا الاستعماريّة لـ"الآخر" غير الأوروبي المتتوحش البربرى، وكانت أسلحة هذا الآخر، بسيوفه وخناجره الغرائبية شكلاً وسمّاً، علاماً على بربريته وتعطشه للدماء،<sup>22</sup> ودلالة على عنفه الحيواني البدائي المنفلت. يورد المؤرخ الإيطالي جيانلوكا باستوري، في دراسته الرائدة في هذا المجال،<sup>23</sup> أن هذه الصورة النمطية للحرب البدائية المتتوحشة تمثّلت في خوف المحارب الإمبريالي الدائم من الذبح وبتر الأعضاء وتقطيع جثث المصابين في ميدان المعركة مع "المتوحشين"، وخاصة من قبل النساء المحاربات بالسلاح الأبيض اللواتي قمن أيضاً بدور محوري في تعبئة المقاومين للجهاد في بلاد الأفغان وفي ليبيا. وفي مقابل السلاح الأبيض "البربرى" في يد المقاومين، قدّمت الحرب الإمبريالية، التي كانت السلاح الأبيض الوحيد في يد الجيوش الاستعمارية، بصفتها سلاحاً متحضّراً احترافياً يعبر عن ضبط النفس والوعي بحدود العنف في المعركة،<sup>24</sup> أي أن الحرب في يد المقاتل الأوروبي جسّدت الروح الحضارية للحرب الأوروبيّة الجامعة

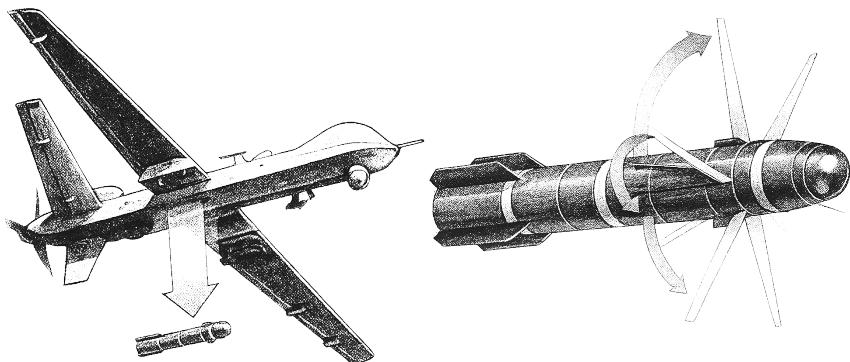
لبرود الأعصاب والاستعداد للتضحية والنبل القتالي، في مقابل العنف الدموي اللاعقلاني الجبان والمخادع للشعوب المستعمرة. وبهذا، أصبحت الحرب علامه على المحارب الأوروبي الأخلاقي الحضاري من جهة، ومن جهة أخرى كانت آخر ما تبقى في يد المقاتل الإمبريالي المدجج بالأسلحة النارية الحديثة لممارسة المبارزة الفروسية والتحلي بقيم البطولة والفداء والشجاعة في المعركة الحديثة التي باعدت ما بين أجساد المقاتلين ولم يعد الالتحام القتالي فيها ممكناً في الغالب الأعم.

في الحرب الاستعمارية للقضاء على "تهديد" مملكة الزولو للتوسيع الإمبريالي في جنوب أفريقيا، (11 كانون الثاني / يناير 1879 - 4 يوليو / تموز 1879) تعرض الجيش البريطاني لهزيمة نكراء في معركة إيساند هلوانا (22 كانون الثاني / يناير 1879)، تكبّد فيها الخسائر الأكبر في الأرواح بين صفوفه منذ معركة "واترلو" (1815) وحتى معارك الحرب العالمية الأولى.<sup>25</sup> أسفرت هذه الهزيمة الإمبريالية الثقيلة عن تغيير النظرة الدونية إلى محارب وثقافة الزولو من جانبيين: الأول، تقدير إمبريالي لثقافة الزولو الحربية. والآخر، تغيير نظرتهم لرحم "الأسيجاي"،<sup>26</sup> من دلالتها على البربرية إلى اعتبارها تجسيداً لمعنى الشرف القتالي لمحارب الزولو وكمكافأة للحربة الإمبريالية (ما بيجمعوا غير بالرّصّ). فقد كانت مملكة الزولو تمتلك أسلحة نارية، ولكن مقاتليها لم يستخدموها في الحرب لأسباب تتعلق بأخلاقيات الرجلة وشرف القتال التي كان يجسّدها رمح "الأسيجاي".<sup>27</sup> وهنا، كان مقتل الزولو هو القتال بشرف في عصر حروب إمبريالية بلا شرف.

باختصار، لقد تشكّل معنى الحرب في الصدام الاستعماري بصفتها أداة الذبح المتحرّض النبيل في مقابل الذبح البربري لمقاومة الاستعمار. هذه الثنائية التي ما زالت فاعلة إلى اليوم في وصف مقاومي الاستعمار بالوحشية، في مقابل القتل المتحرّض الذي تمارسه الجيوش الاستعمارية مهما بلغت وحشيتها، فالمسألة لا علاقة لها بالأداة وإنما بمن يحمل الأداة.

### 3.1 استدراك: لاهوت الذبح المتخضر في عصر "الدرون"

في العام 2017، بدأت تقارير إعلامية غربية الحديث عن استخدام أمريكا لسلاح سري جديد أطلق عليه "صاروخ الينجا" لتنفيذ الاغتيالات في حربها على "الإرهاب"، وهو صاروخ (HELLFIRE R9X) الذي يتم إطلاقه من طائرات الدرون (ام كيو-9 راير)، دون رأس متفجرة وإنما كان مزوّداً بشفرات حادة تقوم بقطع جسد المستهدف وتمزيقه. قُدُّم الصاروخ بصفته سلاحاً للقتل الليبرالي المتخضر لتقليل "الأضرار الجانبية" الناتجة عن عمليات الاغتيال. يصف الصحافي الأمريكي إريك شمييت في صحيفة نيويورك تايمز الصاروخ الجديد على أنه: "يوجّه ضربة قاصمة لـ[الإرهابيين] بسلاح يجمع ما بين وحشية القرون الوسطى والتكنولوجيا المتقدمة".<sup>28</sup>



<sup>29</sup> مرئية رقم (10): رسم تخيلي لصاروخ "الينجا"، سيفيل دالي، 2022.

## هرطقات إمبريالية: تحرير القدس بأستَّةِ الحرب في الحرب العظيمى

NEW YORK TIMES, TUESDAY, DECEMBER 18, 1917.

### WICKED EAST

: and No  
Likely  
it.

### LOCAL

en Show-  
et Pro-  
ls.,

York Times

RK TIMES.  
S' HEAD-  
ere is still  
nd also In  
ok Château  
ils is fierce-  
ged and as  
soldier in  
battle on a  
ighting and  
so far any

whether the  
ill see the

Q. He was missing one night. He had been out to a sap-head in advance of the front line and did not come back again.

There was not a shot fired that night, no scuffle of patrols, nor any raid. Corporal Q. had been spirited away in dead silence by some little party of the enemy, who had been lying close to the British lines in the darkness and had jumped on him as he went his round.<sup>1</sup>

#### Crowns for Taking One Corporal.

A document, which fell into the British hands after the taking of the Hindenburg tunnel trench, shows that this kidnapping of Corporal Q.—without a shot being fired—was made into a heroic exploit by most of some German officer, desiring to make most of the affair.

"On the 15th of this month," says the report, "a patrol of the 10th Company of the 47th Infantry Regiment broke into the English trenches and brought back an English prisoner without suffering any casualties. The success of the enterprise was due to the well-devised preparations of the company commander, Lieutenant of Reserve Schäfer, who has already established an excellent reputation in Flanders battles and to the vigorous conduct of Patrol Commander Unter-Offizier Cardro, as well as of Lance Corporals Gietz and Litzner and Privates Sabirovsky, Kolling, Drees, Blötevogel, and Stellberg. To all who took part in the enterprise I express full recognition of their brave and capable behavior.

"His Majesty the Emperor and King has awarded to Lieutenant of Reserve

### JERUSALEM WON AT BAYONET'S POINT

**British Would Not Reply to Ar-  
tillery Fire for Fear of  
Damaging the City.**

### AMERICAN COLONY SAVED

**Although Engaged in Relief Work,  
Deportation Had Begun at  
Instance of Germans.**

LONDON, Dec. 17.—In attacks preceding the surrender of Jerusalem the Turks employed storming troops in successive assaults on Nebi Samuel, northwest of the Holy City, then held by London troops, according to a Reuter dispatch from British headquarters in Palestine. The dispatch, which was sent by airplane, gives details of the capture and entry into Jerusalem.

The final Turkish attack was preceded by a such a heavy shelling that it appeared the enemy was determined the British would be blown off the summit but all their attacks were repulsed sanguinely. The Turks had a strong line west, south, and northeast of Jerusalem. They were well provided with machine guns and their artillery dominated the crests over which the British would have to advance. Some

for the admirable staff actions in Jerusalem, 1 in early days of the war, Turkish attacks against the Turkish losses in proceeded 45,000 dead from food, and overwork. 1 so famished from hunger to fight for the bodies that died in and about them was suspicion and "Everybody suspected with the Allies was imp." Many persons were ex- these was the Mufti of to a distinguished Arab after attempting to escape and hanged with his Jaffa gate. All aged away, but the American 300 was not molested. In existing distress, aid America.

"When the United States relations with Turkey discontinued, Nevertheless, the colony persisted, and the best of its able January and March of assisted more than 250,000 also took charge of it have done splendid service! Germans attempted to of all Americans in Jerusalem opened the proper number of younger males Damascus. It was also port the remainder, but rival defeated the intent. Egypt, the Turkish Minister of Jerusalem and return people, where he recommended town be evacuated. However, a change was necessary, because the Turks would hold out! new forces were very tried even some of the were minded.

مرئية رقم (11): "ظرف بالقدس بأستَّةِ الحرب"، النيو يورك تايمز، 1917.<sup>30</sup>

استمراً للإرث الإمبريالي للحرب في الحروب الاستعمارية، وبالاستفادة من دروس الحرب الروسية اليابانية، تحولت الحرب في الثقافة العسكرية البريطانية في الحرب العالمية الأولى إلى "فتيش"<sup>31</sup> على حد وصف الباحث باول هودجيس في بحثه المرجعي حول الحرب في الجيش البريطاني في إبان الحرب العالمية الأولى. والمقصود بـ"الفتيش" هو أي شيء يتم تقديسه لذاته وتتجسد فيه الرغبات النفسية الدفينة بصرف النظر عن فائدته العملية الحقيقة. وهنا وجوب علينا التنبية إلى أن تحليل هودجيس للحربة والتاريخ العسكري للحرب العالمية الأولى بشكل عام مبنيٌ على تجربة الجبهة الغربية للحرب (في أوروبا).

أما في فلسطين، على الجبهة الشرقية، فإن للحربة (من طراز 1907) تاريخاً وترميزاً ثقافياً ونفسياً مغايراً، وذلك بالنظر إلى طبيعة مسرح العمليات الذي مَكَنَ الحملة على فلسطين أن تأخذ شكل الحرب المتحرّكة والمناورة. فقد كانت الحملة على فلسطين آخر الحروب التي قاتلت فيها قوات الخيالة وحقّقت فيها انتصاراً، إذ تحوّلت فلسطين إلى مركز التقليل المعنوي في الحرب العظمى لرفع معنويات الشعب البريطاني، ومن ثمّ ضمن استمرار الدعم البريطاني الشعبي للحرب، في وقت تدهورت هذه المعنويات بسبب حالة الاستعصاء على الجبهة الغربية وسقوط مئات الآلاف من القتلى دون إنجاز عسكري يمكن تقديمها للجمهور البريطاني. هذا، ولا ينبغي أن نغفل الأهداف ذات الطبيعة الاستراتيجية للحملة على فلسطين المتمثّلة في الدفاع عن قناة السويس والصراع الإمبريالي-الإمبريالي بين فرنسا وبريطانيا. وضمن هذا المجهود الدعائي، قدّمت الحرب في فلسطين (الأرض المقدّسة) للجمهور الإنجليزي بوصفها حرباً صليبية جديدة، يقاتل فيها الجندي البريطاني على خطى الفارس الصليبي،<sup>32</sup> وال Herb التي ما زال القتال فيها يتّخذ هيئة فروسية مشتهاة في زمن الحرب الحديثة الممكّنة، فيما تم إغفال الأبعاد العملياتية والاستراتيجية للحرب في فلسطين كدور الأسلحة الحديثة. كما أُخضعت أخبار العمليات لرقابة مشددة بما لا يُسْيء لشرف الإمبراطورية وصورتها الليبرالية وحربها الرومانسية في الأرض المقدّسة، مثل استخدامها الأسلحة الكيماوية في معارك غزة (آذار-تشرين الأول 1917).<sup>33</sup>



مرئية رقم (12): جندي بريطاني يصافح فارساً صليبياً في القدس، 'نورث هامبتون إنديبندنت'، 1917.<sup>34</sup>

وبهذا، تحولت صورة العمليات العسكرية في فلسطين في التداول الإعلامي البريطاني إلى صورة بالغة الرومانسية للحرب، تفجّرت فيها القدرات العقلية للعقيرية العسكرية الأوروبيّة ببركات الأرض المقدّسة، وتکاثرت أدبيات العقريات العسكرية لقادتها، خاصة حول الجنرال اللنبي، محرر القدس وبطل "أرمجيدون" آخر معارك الحراب الملحمية في العصر الحديث. وقد تعزّز هذا التمجيد كله بالمقارنة مع الصيت القيادي المخزي للجنرالات البريطانيين على الجبهة الغربية، الذين اختزلت صورتهم في الثقافة الشعبية البريطانية بمقولة "جيش من الأسود تقوده"

الحمير."<sup>35</sup> هذا ما تكلّم به أدبيات صناعة الأساطير العسكرية وأتبّعها جُلُّ العرب في كتابة تاريخ الحرب العظيم في فلسطين. أمّا ما تكلّم به المؤرخ العسكري الأسترالي الرسمي للحملة على فلسطين هنري غولت (Henry Gullet) في تقييم إنجازات اللنبي في فلسطين، فلم يتعدُ القول إن "أي جنرال بمؤهلات فوق المتوسط كان بإمكانه أن يحقق نجاح اللنبي الحاسم."<sup>36</sup>

#### 4.1 هستيريا الرجلة الإمبريالية

و لأن لـ"الفتيش" غوايته، لنعد إلى "فتيش" الحربة في دراسة هودجيس، حيث ينطلق في تحليله لثقافة الحربة في الجيش البريطاني بما يشحّنه بأزمة الرجلة البريطانية المحاربة في عصر الحروب الحديثة الممكّنة، والرغبة في اختبار الحرب كمبارزة بين خصميين من لحم ودم، والتshawُف إلى لذة الإحساس باختراق السلاح الأبيض-الحربة للّحم الأدمي الطري وشهوة الدم، هذه الرغبات التي باتت غير ممكّنة الإشباع في الحرب الحديثة. كما ساد الاعتقاد بالأثر المعنوي الجارف للحربة في يد المقاتل البريطاني في بُث الرعب في نفوس الجنود الألمان المصاين برهاب الحراب لرجلولتهم المنقوصة، كما كانت عليه صورة الجندي الألماني في الدعاية الحربية البريطانية.

وقد كان التشديد في التدريبات على فنون الطعن بالحراب وسيلةً لشحن الجنود بالعدائية والدافعة لقتال العدو الذي أصبح الاشتباك معه عن بعد. كان كل ذلك رغم أن الحربة (من طراز 1907) حملت معها عيوبًا عملياتية، إذ كانت تهدّد بكشف موقع الجنود ليلاً إذا ما لمعت في الظلام، وكان طول الحربة المبالغ فيه (55 سم) المثبتة على بندقية "لي انفيلد" يجعل الحركة صعبة في الخنادق الضيقة. وبسبب كل هذه النقائص العملية، كانت الفرصة السانحة الوحيدة لاستخدامها لاختبار الرجلة البريطانية تمثّل في قتل الأسرى والمصابين وارتكاب الفظائع بالتمثيل بجثث القتلى. استعار الإنجليز الحربة من اليابانيين، ووضعوها في يد من لا يمتلك الروح القتالية والاستعداد بالتضحيّة، فانقلبت في يد الإنجليز سلحاً فعّالاً لارتكاب جرائم الحرب.

تمثل الإشكالية الأهم في دراسة هودجس في إغفاله التام للإرث الاستعماري للحربة، إذ لا يمكن فهم الأصول الدفينة لما سماه بـ"فتيشية الحربة" دون إرجاعه إلى السياق التاريخي الدموي للحربة في حروب الإمبريالية وممارستها للفظاعات، ما أطلقت عليه أغلاه لاهوت الذبح المتحضر. وبالنظر إلى الحقيقة التاريخية القائلة إن كل العمليات العسكرية للجيش البريطاني السابقة للحرب العالمية الأولى كانت حروباً إمبريالية وحشية للتوسيع الإمبريالي وقمع الثورات المقاومة للإمبريالية البريطانية في المستعمرات، حيث تشكلت الخبرة الدموية وـ"فتيشية الحربة" لا على أرض أوروبا... يتضح جلياً في الصور النمطية للجندي الألماني التي هي بمثابة إعادة إنتاج للصور النمطية لمقاومي الإمبراطورية في المستعمرات، غير المتحضرين والمعطشين للدماء بلا رجولة.

في السياق ذاته، يورد مايكل براون،<sup>37</sup> الباحث المخضرم في تاريخ التكنولوجيا، في إطار تفسيره للحماسة العسكرية والشعبية الإمبريالية للحربة بكونها جاءت حلّاً للقلق من انتكاس الرجل البريطاني جسدياً ونفسياً بسبب التقدّم الحداثي، وما سببَه هذا القلق من خوف على مستقبل الإمبراطورية دائمة الحاجة للمحاربين لإعلاء رايتهما وإدامه هيلمانها.

بالعودة إلى هزيمة البريطانيين في معركة "إيساندھلوانا" أمام محاربي الزولو، والتي اعتُبرت إهانة للإمبراطورية، فقد عُزيت إلى الانتكاسة الجسدية للمقاتل الأبيض في مواجهة مقاتل الزولو الرشيق مقتول العضلات، وتم تفسير تقهقر جندي الإمبراطورية في معارك الالتحام المباشر نتيجةً لفساده المعنوي والجسدي بعد دخول الأسلحة الآلية (المدفع الرشاش تحديداً) الذي اعتُبر نعمة ونقطة. من هنا، يمكن فهم تحفظ المؤسسة العسكرية البريطانية وممانعتها للتكنولوجيا، إذ لم تُعد الحرب تنتج أبطالاً وإنما رجولة مزيفة. وقد أدى هذا القلق الاستعماري، بسبب التحوّلات الحداثية وأثرها على الجندي، إلى تحويل جسد الجندي البريطاني إلى موضع اهتمام عند المفكّرين العسكريين، كما أدت الحروب التكنولوجية الاستعمارية والجسم السريع فيها بعد ضحايا قليل إلى تحول هذه الحروب في

الثقافة الإمبريالية إلى صورة الغزو والمعاصرة. وقد كان هذا كله مدعاه للقلق من قدرة الذكر البريطاني على الدفاع عن الإمبراطورية والحفاظ عليها. ومن هنا جاءت القناعة بأن الحرب تحول الرجال إلى نمور معنوياً وجسدياً، هذا ما كان عليه فلق الحداثة في نسخته العسكرية.

أما أزمة الرجلة الإمبريالية على الجبهة الشرقية في فلسطين، فكان لها معنى آخر بحسب الباحثين فاونتاوزو وويلسون.<sup>38</sup> فقد عانى جنود الإمبراطورية من قلق في هويتهم الرجالية بسبب اعتقادهم بأنهم يحاربون على جبهة هامشية لا تمثل الحرب الحقيقية التي اعتقدوا أنها تدور في خنادق الجبهة الغربية حيث البطولة الحقيقة، ولا بد أن عائلاتهم في الوطن يشعرون بالخزي أمام عائلات جنود الجبهة الغربية التي طفت وقائعها على الأخبار القادمة من الجبهة، فبطولاتهم الذكورية منسية فيما يتقلب جنود الجبهة الغربية في نعيم صورة المخلص البطل لنساء فرنسا، فلا نساء حقيقيات في الشرق لكي يمارسوا دور المخلص البطل لهن. يغيب عن دراسة فانتاوز ونيلسون أن صورة الجندي الإمبريالي كبطل مخلص للنساء في الحرب العظمى في فلسطين،<sup>39</sup> سيتم تحصيلها عندما بدأ جنود الإمبراطورية يرون نساء أوروببيات المظهر ويتصاعد الشبق عند لقاءهم الأول بنساء المستوطنات اليهودية في فلسطين اللواتي استقبلنهم بالغمزات والقبلات والأحضان كأبطال مخلصين لهن من الاحتلال العثماني الشرقي.

كان أول لقاء بين "المخلصين" والنسوة الأوروبيات في مستعمرة "غدира"، التي تأسست في العام 1884 على أراضي قرية قطرة المهجرة على بعد 15 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة. ففي المستعمرات اليهودية في فلسطين، ذات المعمار الأوروبي والنبيذ الوفير، كان اللقاء الأول لجنود الإمبريالية بأوروبا للمرة الأولى منذ تركهم بلادهم منذ ثلاث سنين. وسيلعب هذا اللقاء دوراً محورياً في تعاطف الجنود مع المسألة الصهيونية، وخاصة القوات الأسترالية-النيوزلندية "الأنازاك" الذين كانوا دوماً في الطليفة، وستظهر المقارنات بين القرى العربية البائسة القدرة لأهل البلاد والمستوطنات الأوروبية الصهيونية التي تذكّرهم "ببلادهم". ستكون لهذا اللقاء أبعاد خطيرة في نفوس جنود

الإمبراطورية، وستفيض مشاعر العدائية والعنصرية لأهل البلاد الأصليين المتخلّفين الذين لا يستحقون الأرض المقدّسة، وستصل هذه العدائية إلى مداها الأقصى في مجرزة صرفند الخراب، 10 كانون الأول 1918، كما سيأتي تفصيله لاحقاً.



مرئية رقم (13): قوات "الأزراك" في قرية زرنوقة-المملة، كانون الثاني 1918<sup>40</sup>; وضباط أستراليون يحتسون الشاي

في أحد بيوت مستعمرة "ريشون لتسيون"، تموز 1918، متحف الذاكرة العربية-أستراليا، 1918.<sup>41</sup>



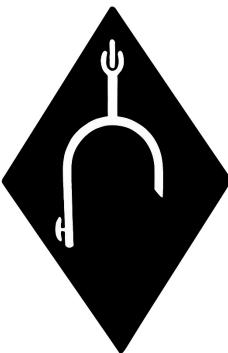
لم تُعرف في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى قوة عسكرية اعتمدت على الحربة (من طراز 1907) أكثر من قوات الجيش البريطاني التي احتلّت فلسطين.<sup>42</sup> من هنا نفهم الهموس الإمبريالي بسرد قصص البطولة لهجمات الحراب البريطانية، والتي لا حصر لها في الأدبيات الاستعمارية حول الحملة على فلسطين في الحرب العظمى، ومن المفيد تأطيرها لفهمهما ضمن السياقات التالية .

بسبب طبيعة مسرح العمليات العسكرية في الحرب على فلسطين، لعب سلاح الخيالة البريطاني على الجبهة الشرقية مقابل الجبهة الغربية دوراً رئيساً في الهجمات والمعارك، وخاصة في معركة "أرميجدون" (مجدو) أيلول 1918 – مع العلم أن اختيار اسم مجدو كان اختياراً دعائياً بحثاً بما يتوافق مع الدعاية الدينية للحرب، أما اسم المعركة المعتمد في التاريخ العسكري العثماني فهو "معركة نابلس" وهو الأقرب للحقيقة التاريخية – وكذلك في الهجوم الشهير بالحراب لقوات الخيالة الأسترالية - النيوزلندية "الأنزاك" في معركة بتر السبع. وقد أسهمت هذه المعارك في تشكيل صورة البطولة التي أحاطت القوات البريطانية المشاركة في الحملة على فلسطين في الأدبيات الاستعمارية، وخاصة التقدُّم السريع من يافا إلى دمشق خلال ستة أسابيع بحلول العام 1918.

لا يعود الاهتمام بدور سلاح الخيالة في فلسطين إلى حقيقة دوره في الإنجازات العسكرية وحسب، وإنما لردّ الاعتبار لهذا السلاح مقارنة بفشلـه على الجبهة الغربية، حيث خلَّفت هجماته خسائر كبيرة في الأرواح، بالإضافة إلى نقد الرأي العام حول قادة سلاح الخيالة عموماً الذين يتهمـهم بالرجعية والفشل في التكييف مع الحرب الحديثة. وكذلك لردّ الاعتبار للعمليات العسكرية على الجبهة الشرقية ضدّ اختزال مجريات الحرب العظمى على الجبهة الغربية، ودون الالتفات للشكل المغاير للعمليات على الجبهة الشرقية في فلسطين تحديداً. من هنا، يمكننا القول إن فلسطين كانت من أكبر ضحايا الجبهة الغربية التي تبعد عنها آلاف الكيلومترات. فقد كانت الإشادة بالهجمات الانقضاضية بالحراب لسلاح الخيالة، ودورها المركزي في تحقيق الانتصار البريطاني في حرب فلسطين، للمجاجة بأن

سلاح الخيالة ليس سلاحاً من الماضي وبأن الإمبراطورية بحاجة إلى أفضل رجالها للقتال في صفوته. كل ذلك ضمن الصورة العامة التي تم تصديرها حول الحرب في فلسطين بكونها حرباً نبيلة تجلّت فيها شجاعة الجنود وبراعة القيادة وتمَّ فيها تهميش دور الأسلحة الحديثة مثل سلاح الطيران والأسلحة الآلية، في معركة مجدو تحديداً، في حسم الحرب تعبيراً عن نostalgia الرمزي الذهبي الضائع لعصر الفرسان.

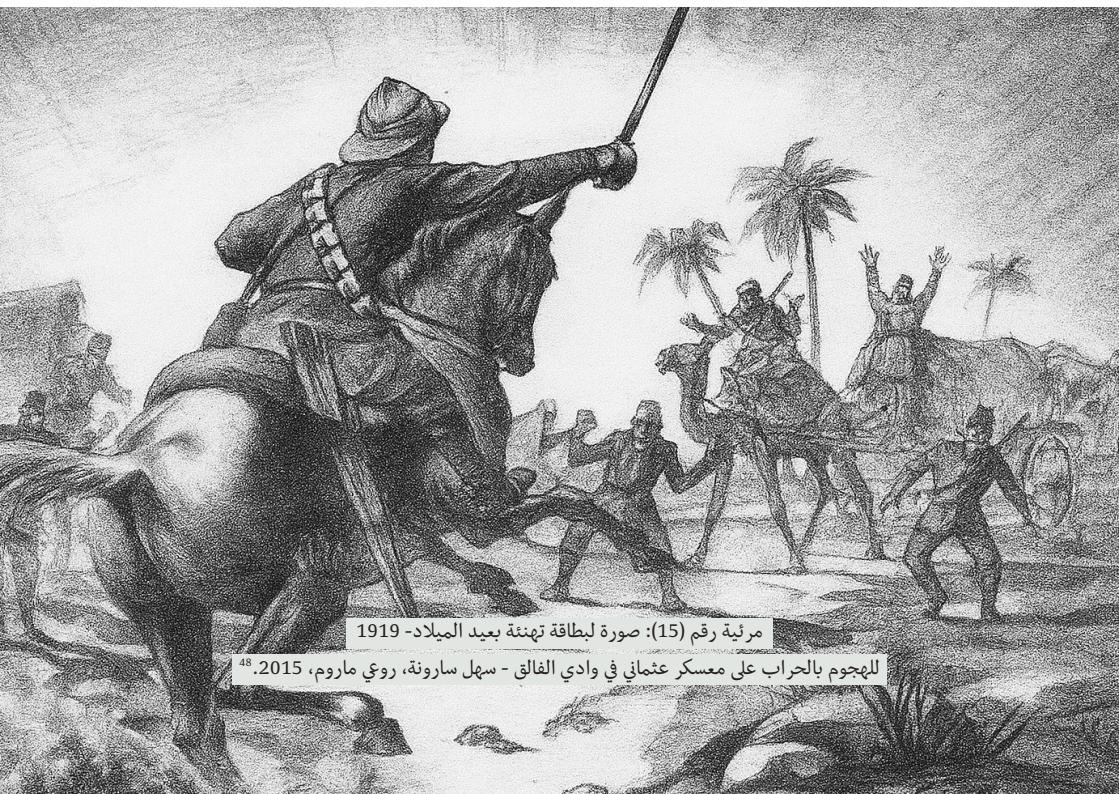
ومن هنا جاء التنافس، بل الصراع، بين مكونات الجيش البريطاني الإثنية: بين خيالة "الأزراك" الأسترالية-النيوزيلندية وفرقة الخيالة المتطوعة "اليومناري" الإنجليزية على حيازة لقب صاحب آخر هجوم لسلاح الخيالة في العصر الحديث، ما بين معركة بئر السبع 31 تشرين الأول 1917 لـ"الأزراك" ومعركة هوج (قرية مهجورة قضاء غزة) للخيالة المتطوعة في 8 تشرين الثاني 1917. بالنسبة لخيالة "الأزراك"، فقد بدأ الاحتقار المتزايد لفرقة الخيالة المتطوعة البريطانية (yeomanry) بعد فشل هذه الأخيرة المتكرر في بداية الحملة على فلسطين في معارك سيناء، مع أنها كانت تتمتع برفاهية التمييز <sup>43</sup> لصالحها من جودة الخيام والطعام مقابل حال جنود "الأزراك" المتواضع الخشن، وهو الحقد الطبقي العسكري ذاته الذي سرى أيضاً في نفوس الجنود العثمانيين ضدَّ أخوة السلاح الجنود الألمان على جبهة فلسطين. ومع إنزال ثلاث كتائب من الخيالة الانجليز منهم عن الخييل وتحويلهم إلى مشاة (الفرقة 74) في آذار 1917، واتّخاذها شعار المهماز المكسور، وصل الاحتقار الأسترالي للإنجليز إلى أقصاه، ولا سيما بعد الفشل الذريع للفرقة 74 المكونة من مشاة الخيالة المتطوعة الإنجليز في معركة القدس الأولى (تشرين الثاني 1917) على جبل أبو زيتون في قرية بيتنويا... هذه المعركة التي أرادها أللنبي معركة أسطورية تجسّد عبقريته العسكرية في احتلال المدينة المقدسة دون قتال، والتي هدف فيها إلى دفع الجنود العثمانيين المدافعين عن المدينة إلى الاستسلام من خلال قطع طريق الإمداد عنهم (طريق القدس-رام الله)، انتقاماً للإهانة التي أحسَّ بها بعد نقله من الجبهة الغربية إلى الشرقية، والذي اعتبره إجراءً عقابياً بحقه بعد تكبُّد قوّاته خسائر فادحة في معركة "آراس" في فرنسا في أيار من العام 1917.



مرئية رقم (14): شعار المهاجر المكسور للفرقـة 74 بعد تحويلها من وحدة خيالة إلى مشاة، كتاب الفرقـة الـ74 في سوريا وفرنسا، 1922.<sup>44</sup>

وقد دار قـبـيلـ الحـربـ العـظـمىـ سـجـالـ ماـ بـيـنـ المـنـظـرـينـ العـسـكـرـىـنـ حـولـ دورـ سـلاحـ  
الـخـيـالـةـ فـيـ الـحـربـ الـحـدـيـثـةـ، خـلـصـ إـلـىـ تـعـرـيـفـ قـوـاتـهـ بـكـوـنـهـمـ مشـاـةـ مـسـلـحـىـنـ بـبـنـادـقـ  
آـلـيـةـ يـرـكـبـونـ الـخـيـلـ لـلـتـنـقـلـ، لاـ فـرـسانـاـ بـالـمعـنىـ التـقـليـدـيـ لـلـمـفـهـومـ، وـإـلـىـ أـنـ العـامـلـ  
الـحـاسـمـ فـيـ عـمـلـيـاتـهـ الـعـسـكـرـىـةـ هـوـ الـقـوـةـ النـارـيـةـ الـتـيـ تـسـمـحـ بـالـهـجـومـ وـمـنـ ثـمـ الـاحـفـاظـ  
بـالـأـرـضـ، لاـ قـتـالـهـمـ بـالـسـلاـحـ الـأـبـيـضـ. وـلـكـنـ طـبـيـعـةـ مـيـادـيـنـ الـقـتـالـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ تـحـدـيدـاـ،  
الـتـيـ تـسـمـحـ بـالـمـنـاـورـاتـ الـمـتـحـرـكـةـ، بـالـتـضـافـرـ مـعـ غـيـابـ خـطـوـتـ الدـفـاعـ الـعـمـيقـةـ لـلـجـيـشـ  
الـعـثـمـانـيـ وـبـالـتـحـديـدـ غـيـابـ الـأـسـلـاكـ الشـائـكـةـ حـولـهـاـ، هـذـهـ الـأـسـلـاكـ الـتـيـ تـجـعـلـ الـعـمـلـيـاتـ  
الـانـقـضـاـتـيـةـ لـلـفـرـسـانـ شـبـهـ مـسـتـحـيـلـةـ، كـلـ هـذـاـ أـدـىـ إـلـىـ الـاعـتـمـادـ الـمـتـرـازـيدـ عـلـىـ الـهـجـمـاتـ  
الـصـاعـقـةـ بـالـسـلاـحـ الـأـبـيـضـ (ـالـحـرـابـ مـنـ طـرـازـ 1907ـ)، وـاـخـتـبـارـ فـاعـلـيـتـهـاـ فـيـ عـدـدـ مـعـارـكـ،  
نـذـكـرـ أـهـمـهـاـ: بـئـرـ السـبـعـ وـالـمـغـارـ وـهـوـجـ وـتـلـ الصـافـيـ وـعـيـونـ قـارـةـ وـوـادـيـ الـفـالـقـ وـمـجـدـوـ  
وـسـمـخـ، وـالـتـيـ تـحـوـلـتـ فـيـهـاـ قـوـاتـ الـمـشـاـةـ الـمـحـمـولـةـ عـلـىـ الـخـيـولـ إـلـىـ سـلاـحـ فـرـسـانـ،<sup>45</sup>  
تـقـاتـلـ بـتـكـيـكـاتـ الـخـيـالـةـ الـتـقـليـدـيـةـ.<sup>46</sup> فـتـأـمـلـ كـيـفـ يـمـكـنـ لـسـلـكـ شـائـكـ أـنـ يـكـونـ فـاعـلـاـ فـيـ  
تـارـيـخـ بـلـادـ تـعـيـشـ لـعـنـةـ الـأـسـلـاكـ الشـائـكـةـ مـنـذـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـةـ عـامـ!

باختصار، تحولت فلسطين إلى "مصحّة نفسية كبيرة" يتعافى فيها جنود الإمبراطورية من عقدهم النفسي بممارسة القتال الرجولي الفروسي والعنف الدموي بالتلذذ بذبح الجنود العثمانيين الأسرى والجرحى بالحراب (من طراز 1907) وممارسة السادية الاستعمارية ضدّ أهل البلاد. فقد استعمل جنود الإمبراطورية التهديد بالذبح بالحراب لتهجير المضارب البدوية القريبة من معسكراتهم في سيناء وفلسطين. وعندما رفضت امرأة ترك ديارها، خطف جندي من "الأنزاڭ" طفلها جاعلاً الحرفة حاجزاً بين الأم و"وليدتها"، فيما حاولت الاقتراب من الجندي لنقبيل يده لكي يترك ابنها.<sup>47</sup> ولاحقاً، ستتصبح فلسطين "مصحّة نفسية كبيرة" لليهودي المستوطن ليتخلّص من عقد البدونية وإثبات رجولته المخصوصة في الغيتوات الأوروبيّة بممارسة الوحشية الدموية ضدّ الفلسطيني صاحب الأرض..



مرتبة رقم (15): صورة لبطاقة تهنئة بعيد الميلاد - 1919

للهجوم بالحراب على معسكر عثماني في وادي الفالق - سهل سارونة، روبي ماروم، 2015.<sup>48</sup>



مرئية رقم (16): معركة هوج - غزة، "ليدي بتلر"، متحف فرقة الخيالة المتطوعة اليماني، 1919. وصاعق لقذيفة مدفعية

بريطانية مضادة للأفراد (shrapnel) من الحرب العالمية الأولى عثرت عليها في موقع معركة هوج، تصوير المؤلف، 2022.<sup>49</sup>



## 4.2 معركة بئر السبع 31 تشرين الأول 1917 حراب الإمبريالية المتوجهة تحت شمس فلسطين

في 26 تشرين الأول 1917 أصدر اللواء هنري هدغسون (Henry Hodgson) قائد فرقة الصحراء الراكبة أمر القتال التالي للخيالة الأستراليين: "هذه البلاد خُلقت لحرب الخيالة... عليكم الهجوم راكبين بالسلاح الأبيض، فالحراب (من طراز 1907) يمكنها أن تستخدم كسيوف للطعن. اشحدوا حرابكم التي لها نفس التأثير المعنوي [على العدو] مثل السيوف عندما تتوهّج تحت الشمس..."<sup>50</sup> يمكننا القول إن هجوم الخيالة الأستراليين (الأنزاك) بالحراب على القوات العثمانية في بئر السبع، فيما صار يعرف لاحقاً بمعركة بئر السبع ضمن معركة غزة الثالثة، هو أحد أهم المعارك الفاصلة في تاريخ فلسطين الحديث بالنظر إلى ما نتج عنها من تقرير مصير فلسطين الحديث بدخولها تحت الاستعمار الأنجلو-صهيوني حتى يومنا هذا. في هذا السياق، من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن وعد بلفور (2 تشرين الثاني 1917) أُعلن بعد ثلاثة أيام من وصول أخبار الانتصار في معركة بئر السبع، والتي أدّت إلى انكسار خط الدفاع العثماني الحصين بئر السبع-غزة، ومن ثم احتلال القدس في 9 كانون الأول 1917 هدية لويド جورج للشعب البريطاني بعيد الميلاد "الكريسماس" لرفع معنوياته المنهارة على الجبهة الغربية. ولم تقتصر أهمية معركة بئر السبع بكونها بداية الاتساح البريطاني لفلسطين وسقوط القدس والاستعمار الصهيوني فلسطينياً وعربياً، وإنما تحولت ذكرى المعركة إلى أسطورة جديدة لتجديد الهوية القومية لـ "الأمة الأسترالية" بالتعاضد مع أسطورة معركة "غاليبولي" (جناق قلعة)، غاليبولي الكارثة وبئر السبع البطولة، وفي إعادة تأكيد أسطورة "الأنزاك" كنواة لبناء الأمة الأسترالية بالاستئناس بـ بندיקت أندرسون حول طقوس بناء "الأمة المتخيلة".

وبذا، فقد تحولت معركة بئر السبع إلى موقع مستحدث في صناعة الهوية الأسترالية عبر الإنتاجات الثقافية المختلفة (الأفلام والمذكرات والأعمال الأدبية) والحج إلى

مواقع المعركة، حيث أنشأ الصهاينة مسار "الأنزال" للحجيج. كما ساد في التاريخ العسكري الأسترالي القومي الاحتفاء بمعركة بئر السبع بصفتها آخر الهجمات الكبيرة لسلاح الفرسان الخيالية في الحرب الحديثة. وكما يحدث دائماً في كتابة التاريخ القومي العسكري بالتركيز على البطولة والدهاء، لم تكتب أحداث المعركة ضمن سياقها العسكري العملياتي البحث الذي جعل نجاح هذا الانقضاض ممكناً، مثل القوة النارية للمدفعية البريطانية المساندة<sup>51</sup>، والوضع اللوجستي الصعب للقوات العثمانية المدافعة، والحقيقة التاريخية التي يوردها إدوارد أريكسون في ختام تأريخه لمعركة بئر السبع بالقول: إن فيلقين كاملين من المشاة البريطانيين احتاجوا طوال يوم 31 من تشرين الأول لرحلة 1400 مقاتل عربي من أهل البلاد من الفرقـة الـ 27 (المكونة من الفوج الـ 67 والفوج الـ 81) من خنادقهم الدفاعـية عن بئر السبع. ما يقارب الـ 80 % من عديد الفرقـة الـ 27 كانوا من العرب، وبعد كل هذه البطولة المشرفة حـولـهم المراقبون الأتراك إلى كبسـفـداء بـتحـمـيلـهم مسـؤـلـيـة سـقوـطـ بـئـرـ السـبع!<sup>52</sup>



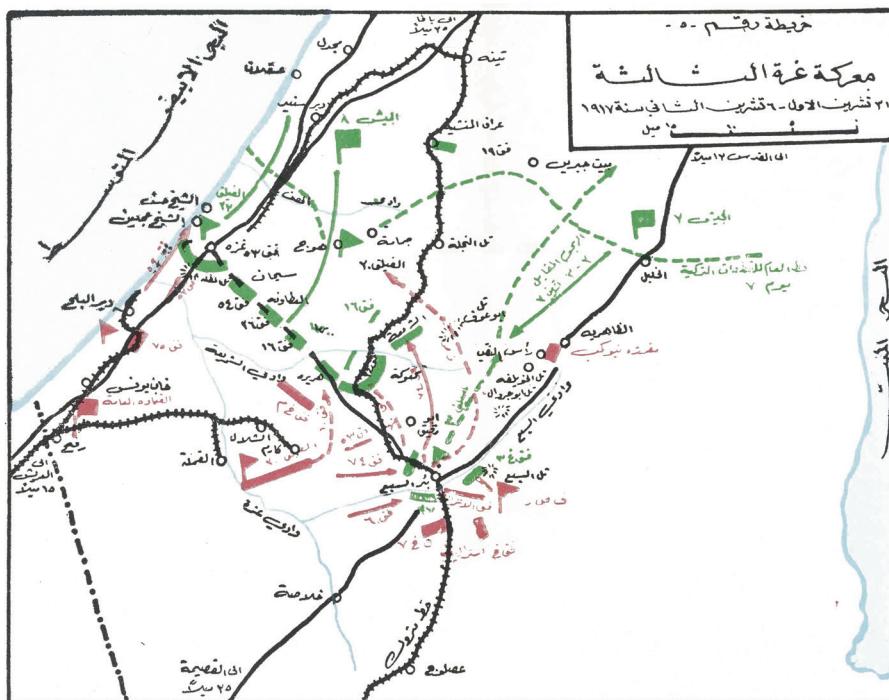
مرئية رقم (17): هجوم "الأنزال" بالحراب في معركة بئر السبع، متحف الذاكرة الحربية - أستراليا، 1918.

وكما هو الحال في صناعة الأساطير المؤسّسة للهوية القومية، تحوّل تاريخ المعركة إلى ذاكرة مهندّسة ومتخيّلة تتمحور حول البطولة والتضحية والبلل، ولكن للسيد تاريخ طرقه الدائمة في إفساد الأساطير... فلم تكن "الأنزاك" سوى مجموعة من القتلة ذات تقاليد عريقة في ممارسة العنف الدموي بذبح الأسرى، والتي تعود إلى التجربة الأسترالية التاريخية الاستيطانية في حروب التخوم (1788-1934)، والتي شهدت مذابح لا تحصى للسكان الأصليين<sup>54</sup>، وحيث تبلورت الأصول المليشاوية لـ"الأنزاك". فقد استخدم الجنود المسّميات ذاتها من مثل "نيجروز" و"داركبيز" في وصف السكان الأصليين الفلسطينيين، وكذلك المصريين خلال قمع ثورة 1919 التي أشعّلها فيلق العمال المصري العائد من جبهات الحرب العظمى ومن ضمنها فلسطين، قبل أن تستولي عليها البرجوازية الوطنية المصرية، فضاع ذكرهم واعتلى ذكر الباشوات.

في أسطورة "الأنزاك" في معركة بئر السبع وفلسطين، صار القتلة أبطالاً للحملة على الأرض المقدسة، فلم يكن "تحرير" القدس ممكناً دون صورة الفارس الأسترالي الملوح بحربته فوق حصانه التي دمّرت معنيّات الخصم وحسمت مستقبل إسرائيل"، وأصبحت مكوناً في بناء الدين العلماني للقومية الأسترالية في معمدانية المعركة.<sup>55</sup> في المقابل، كانت طقوس معمدانية معركة الحراب في بئر السبع وغيرها، والمبالغة بالبطولة في وجهها الآخر، تعبيراً عن قلق هويّاتي أصيل داخل مجتمع المستوطنين الويلد في أستراليا، حيث البطولة العسكرية دليل على أن انفصالهم عن الوطن الأم لم يجعل منهم جماعة إثنية منحطة،<sup>56</sup> وأنهم بطبيعتهم محاربين أشداء وخيالة شجعان. وكل ذلك لمواجهة الاحتلال البريطاني لهم لأصولهم الريفية الدونية<sup>58</sup>، وبالطبع كان القتال بالحربة هو التجسيد المادي لكل هذه المواصفات "القومية".



مرئية رقم (18): طابع بريدي صهيوني تذكاري لمعركة بئر السبع، البريد الصهيوني، 2013.



مرئیہ رقم (19): خریطہ عسکریہ لمعرکہ غزہ الثالثہ، شکری ندیم، 1965ء<sup>59</sup>



مرئية رقم (20): جنود عثمانيون ومقاتلون عرب في بئر السبع، مسعود أيلار، 2020.<sup>60</sup>

## أول الدم: مجزرة صرفند الخراب 1918

"تجمَّعَ النيوزلنديون والأستراليون وهاجموا القرية وجاسوا فيها بالحراب."

إدوارد أوبراين، جندي من فرقة الأنزاك وأحد مجرمي المجزرة، 1988.<sup>61</sup>



مرئية رقم (21): قرية صرفند الخراب بعد المجزرة،  
ويظهر في الصورة جثمان أحد شهداء القرية عند بئر الغارب، متحف الذاكرة الحربية-أستراليا، 1918.<sup>62</sup>

في ليلة العاشر من كانون الأول 1918، أغارت مجموعة من جنود الإمبراطورية البريطانية مكونة من فرقة "الأنزاك" أساساً على قرية صرفند الخراب غرب الرملة، وبعد

أن فرضت طوفاً مشدداً على القرية بدأت بحرق منازلها وقتل أهلها. كانت حصيلة المجازرة استشهاد العشرات من أهالي القرية وتدميرها وتهجير من تبقى من أهلها على قيد الحياة. طوى تسارع الأحداث العاصفة، التي أعقبت الحرب العالمية الأولى في فلسطين، ذكرى المجازرة "الأولى" وفاتحة عهد التهجير والمجازر الاستعمارية في الزمن الأنجلو-صهيوني لفلسطين المستمر إلى يومنا هذا، وبقيت المجازرة غائبة كليّة عن الكتابة التاريخية الفلسطينية توثيقاً ودراسةً.

أما ما يجعل هذه المجازرة فصلاً من سيرة سنجة ستّي يامنة، فقد تقاطعت المصادر التاريخية على أن هذه المجازرة نُفذت بالسلاح الأبيض بالحراب (من طراز 1907) بشكل أساسي، بالإضافة إلى الهراوات، وذلك لقناعة منفذيها بالرعب الذي يزرعه السلاح الأبيض في نفوس غير الأوروبيين، وبأن هذا السلاح يشفي الغليل في الانتقام. جاءت هذه المجازرة بعد انتهاء العمليات العسكرية في فلسطين، وأقوم ببحثها في هذه الدراسة ضمن سياق الصراع التاريخي المديد مع الاستيطان الصهيوني في السهل الساحلي الفلسطيني في ريف الرملة في لحظة اللقاء الإمبريالي مع الاستيطان الصهيوني في فلسطين في الحرب العالمية الأولى.

لم تكن مجازرة صرفند (10 كانون الأول 1918) هي المجازرة الوحيدة التي ارتكبتها القوات البريطانية في فلسطين خلال الحرب العظمى، كما سيأتي بيانه تالياً، ولكنها تميزت أولاً بكونها الأكثر دموية من بين ما وصل إلينا من هذه المجازر، ثانياً والأهم هو الدور الصهيوني فيها، من حيث كونه استهدف القرية الفلسطينية كوجود جماعي ونتج عنه أول واقعة تهجير لقرية فلسطينية بعد الحرب العظمى، والتي ستتوالد خلال أحداث حرب النكبة 1948. ولا تهدف هذه الدراسة إلى "فضح" الجرائم الاستعمارية وإثبات المظلومية التاريخية، كما هو ديدن كتابة تاريخ المجازر الاستعمارية في فلسطين، وإنما تهدف أساساً إلى التاريخ للمجازرة في فلسطين من منظور التاريخ الجرئي في البحث التاريخي، من حيث كونه مسعى للفهم ينطلق من واقعة محددة لفهم

السياقات والديناميات الكبرى طويلة الأمد التي تولّد الأحداث في سياقاتها العسكرية والأيديولوجية والاقتصادية والسياسية المرّبة، الناشرة في حالة مجرزة صرفند الخراب مع ولادة "الكوبانيات" الصهيونية في ريف الرملة وفي فلسطين عموماً في العام 1882 تحت الحكم العثماني. ومن ثمَّ يأتي البحث في سياق العمليات العسكرية البريطانية في الحرب العظمى في فلسطين والتركيبة الإثنية لجنود الإمبراطورية، النيوزلنديين والأستراليين تحديداً، حيث تقاطعت هذه السياقات كلُّها على جسد صرفند الخراب في لحظة اللقاء الإمبريالي الصهيوني المعيَّر عنه في وعد بلفور استراتيجياً، وعلى الأرض في اللقاء الاستعماري بين جنود الإمبراطورية والمستوطنين الصهاينة، فكانت المجزرة وليدة لهذا التقاطع التاريخي.

(لقد استخدم أهل البلاد ولا زالوا يستخدمون مصطلح "الكوبانية" في تسمية المستعمرات الصهيونية، والكلمة تعود في أصلها إلى الكلمة الأعجمية "كومبانيا" (Compania)، أي الشركة، والتي عُرِّبت في مصر بـ"قومبانية"، والتي دخلت على الأرجح إلى فلسطين من هناك وخفَّفَها اللسان الفلاجي فصارت "كوبانية". كما استخدم أهل البلاد مصطلح "القولانية"، تعرّيّب لكلمة "كوليوني" (Colony)، أي المستعمرة، في تسمية المستعمرات الصهيونية الأولى، والتي كان يستخدمها الصهاينة أيضاً. وتَمَّت لاحقاً ترجمتها إلى العبرية "موشافاً"، واستُخدِمت حصراً لمستعمرات الملكية الخاصة. وفيما بعد النكبة، اعتمَدَ اسم "موشافاً" ككلمة عبرية أصيلة (اسم علم) وقطعت عن أصلها "كوليوني"، المستعمرة، واعتمَدت قريباً منها كلمة "موشاف" المستخدمة للمستعمرات اشتراكية الطابع).<sup>63</sup>

كتاب سهل العلوم الفطريات



مرئية رقم (22): عرض حال للصدر الأعظم من قرية زرنوقة قضاء الرملة

<sup>64</sup> وجملة من القرى المجاورة يشكون فيها جرائم حراس القولانيات اليهودية، يوفال بن باسات، 2014.

عادةً ما يتم التركيز على البعد الاستراتيجي والسياسي في اللقاء بين المشروع الصهيوني في فلسطين ومصالح الإمبريالية البريطانية المتمثل بوعد بلفور، ويتم إهمال اللقاء الاستعماري على المستوى اليومي على الأرض وال العلاقات العينية الشخصية التي نشأت بين الجنود الغزاة والغزا المستوطنين. والمسألة الأخرى ذات الأهمية في بناء الإطار التحليلي لهذه الدراسة، تتمثل في التحرر من اختزال رؤية الحرب العظمى في فلسطين وببحثها بصفتها صداماً بين إمبراطوريات، كما تؤطر عادة على أرض فلسطين، ومن ثم التركيز أساساً على العمليات العسكرية النظامية بين الجيوش المتحاربة العثمانيين والألمان والنساويين من جهة وجنود الإمبراطورية البريطانية من جهة أخرى. في هذا السياق، يتم إغفال البعد الاستعماري لهذه الحرب من حيث علاقتها بأهل البلاد، هذه "العلاقة" التي شملت القتل والتهجير والضبط والمراقبة لأهل البلاد وإخضاعهم للعمليات الشرطية الاستعمارية (colonial policing)، هذه العمليات التي شكلت الممارسة المهيمنة للجيش البريطاني كجيش إمبريالي انهمك لمئات السنوات في مهام قمع أهل البلاد سكان المستعمرات. فالحرب العظمى كانت حدثاً شادّاً في التاريخ الإمبريالي للجيش البريطاني من حيث كون وظيفته التاريخية تشكّلت أساساً كجيش إمبريالي محترف للعمليات الشرطية الاستعمارية،<sup>65</sup> قبل اندلاع الحرب في العام 1914. لم يتوقف الجيش البريطاني الإمبريالي عن الممارسات الشرطية الاستعمارية القمعية خلال الحرب بموازاة عملياته العسكرية، وجرت عملية منظمة للتعذيب عليها، إذ كانت تشكل خطراً على الاستراتيجية البريطانية القائمة على التحالف مع بعض العرب ضد العثمانيين، وتتناقض مع الدعاية البريطانية التي رسمت صورة لنفسها بصفتها جيشاً لتحرير أهل البلاد من الاستبداد والتخلّف العثمانيين.

أما المسألة الأخرى المتعلقة بالسبب الذي تعود إليه أساساً معرفتنا بالمجزرة من الأرشيف الاستعماري، فهي الصورة التي تم تأثير هذه المجزرة بها، بصفتها مجزرة نفذها شرذمة من الجنود النيوزلنديين والأستراليين، المتمردين على أوامر القيادة العليا والقانون الأخلاقي للإمبراطورية باستهدافهم المدنيين العزل، وإن لم تتم محاكمة أحد من الجنود عليها

بصفتها جريمة حرب بدعوى تقنية قانونية، ألا وهي وقوعها بعد انتهاء العمليات العسكرية. والحقيقة أن التنكيل والقتل والاتجاه العدائي ضدَّ العرب في فلسطين كان التوجُّه السائد بين الجنود البريطانيين من الجنسيات كُلُّها، وما جرى تصويره كحالة شاذةً، وبوصفة جرماً ونقضاً للشرف العسكري في مذبحة صرفند الخراب، كان في حقيقته جزءاً من هذا الاتجاه. فقد تلقَّى الجنود ذاتهم الذين "عوقيباً" بالتسريح والنقل إلى مصر أوامر رسمية من القيادة العسكرية العليا بممارسة الفظائع ذاتها في عمليات قمع الثورة المصرية 1919.

ولذا، يبدو واضحاً بأن الموقف الغاضب الذي تناقله الأدباء الإمبرياليية كُلُّها عن النبي، الذي وصف جنود "الأنزاك" بالقتلة وأنه لم يعد فخوراً بهم، إنما كان مردهُ إلى تخوفه، بصفته القائد الأعلى للجيش والمسؤول عن تنفيذ الاستراتيجية البريطانية في فلسطين والمنطقة العربية خلال الحرب العظمى، من تبعات ذيوع خبر المجازرة على الاستراتيجية التي كان يجري تنفيذها في سياق مرَّكِبٍ من تضارب الوعود الإمبريالية للعرب والصهاينة والامتناعض العربي من صدور وعد بلفور، وفي الوقت ذاته التخوف من استغلال فرنسا للحدث في تأليب العرب ضدَّ بريطانيا. ومن هنا، يمكن فهم معاودة النبي لاحقاً الإشادة بجنود "الأنزاك" بعد أن تحقق لبريطانيا الاستقرار في المنطقة.

التقيُّت بمجزرة صرفند الخراب خلال بحثي ودراستي لسير العمليات العسكرية في الحرب العالمية الأولى في فلسطين، مع العلم بأن المجزرة وقعت بعد وقف العمليات العسكرية بحوالي شهر من الزمن. ومن ثمَّ، شرعت بجمع ما توفرَ من المصادر عنها: المصادر الأولية، والتي تتضمَّن التاريخ الشفوي لأهل صرفند الخراب، والأرشيفات والشهادات الإمبريالية البريطانية والأسترالية والنيوزلندية، والمذكرات والشهادات الصهيونية والصور الجوية والخرائط، بالإضافة إلى مجموعة من المصادر الثانوية، وأخيراً التجوال الميداني في جغرافيا المجزرة في قرية صرفند الخراب التي طمسَت معالمها بالكامل. يدور هذا القسم حول المجزرة التي كان ضحاياها أهالي قرية صرفند الخراب، غير أن المفارقة تكمن في أن دراستها شَكَّلت أيضاً فرصة نادرة لرؤية أهل البلاد في فلسطين كفاعلين تاريخيين مقاومين في أحداث

الحرب العظمى، وليسوا فقط ضحايا الحرب أو أحد مكونات البيئة الحربية، هذه الفاعلية التاريخية المغيبة أيضاً في البحث التاريخي الفلسطيني.

تُطلِّ إشكالية المصادر التاريخية وغلبة الأرشيف الاستعماري بكل ثقلها في كتابة تاريخ مجرزة صرفند الخراب التي تنتهي أحداثها إلى الحرب العالمية الأولى، حيث تصبح مسألة المصادر والأرشيف أكثر تعقيداً وصعوبة بسبب غلبتها. وأما مصادر أهل البلاد، فت تكون أساساً من روایات لأشخاص لم يعاصروها، سوى شهادة مدونة واحدة أرسلت لاكرم زعير بناء على طلبه في الثلاثينيات قدّمها أحد الناجين من المجربة.

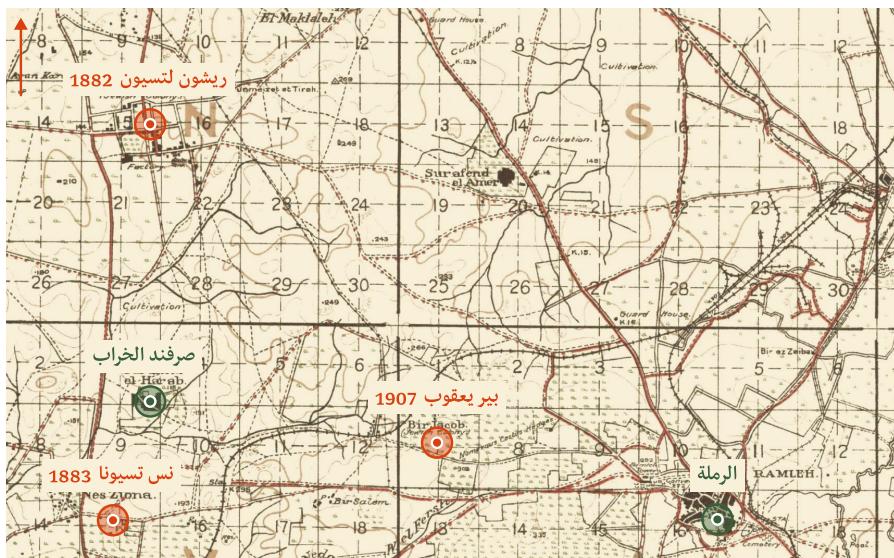
## 5.1 المقبرة كمنهجية في كتابة تاريخ المجربة

أنطلق في هذه الدراسة من أن كتابة تاريخ المجربة هو استمرار لأحداثها ووقائعها لا تعقّبها عليها، ولعل التجسيد المادي الأكثر تعبيراً عن هذه المقوله هو حال مقبرة صرفند الخراب. فقد بدأت رحلة تقصيّي أثر المجربة من نهايتها، أي من المقبرة، حيث مستودع أسرارها الحقيقي لا الأرشيف، ومن المقبرة العسكرية البريطانية في الرملة حيث يوجد قبر الجندي لسلي لوري الذي تقول الرواية الاستعمارية إن مقتله على أيدي العرب قرب صرفند الخراب هو دافع المجربة. تنتصب على قبر لسلي شاهدة وخريطة تدلّان عليه، وتُقام طقوس لإحياء ذكراه كل عام. في المقابل، طمس الصهاينة جميع معالم مقبرة صرفند حيث دُفن شهداء مجربتها كلية، وتجثم قبورها تحت حديقة وادعة ترقق فيها الطيور على بساط من النجيل يانع الخضراء وأشجار الزيتون حديثة العهد من صنف "برنيع" الصهيوني (الذي هندسه جينياً شمعون ليفي من صنف سرقة من واحة عين القديرات في سيناء أثناء احتلالها)، وأسموها "بستان مرجليون"، نسبة إلى الصهيوني الإرهابي إلياعازير مرجليون، المستوطن في مستعمرة "روحوفوت" والقائد في فرقة الأزراك ولاحقاً القائد الأعلى للفيلق العربي، وباسميه سمّيَّ حيًّا "ياد إلياعازر" في مستعمرة "نيس تسفيونا" المقام على جذر قرية صرفند الخراب. ليس قبر لسلي لوري وحده هو الحاضر من أثر المجربة، وإنما يوجد أيضاً نصبان تذكاريَّان لقتل الجنود "الأزراك" على أرض صرفند الخراب.



مرئية رقم (23): مقبرة صرفند الخراب، قبر الجندي "إسلي لوري" في مقبرة  
الملة العسكرية البريطانية، تصوير المؤلف، 2022.

في ذلك الصباح التشريري الذي زرته فيه المقبرة-الحديقة للمرة الثانية، سألت نفسي كيف سأكتب تاريخ المجازرة من هنا... من المقبرة: المكان والزمان والمنهجية؟ تخيلت الجثث الممزقة والمحروقة تحت الغطاء الأخضر، وتأملت لبابيب أغصان الزيتون الخضراء المزرقة التي تشرب عصير الجثث (كم ظهرت لي شجرة الزيتون رمز السلام متوجحة "زومبية!"). هنا الحقيقة تغذى الزيف ليُظهر الحقيقة، وهنا لا تعد ثنائية الأرشيف - الرواية الشفوية ذات معنى، إذ المعنى هو ما ينمو في الكتابة بلا وجل... تخيلت يوماً يعود فيه أهل صرفند الخراب إليها، ربما يجرفون الغطاء الأخضر ليصلوا إلى قبور أسلافهم ويستأنفوا طقوسهم في زيارة الموتى، وربما يبقى البستان على حاله ويقطفون ثماره ويعصرون زيتها الممزوج بنسخة أسلافهم ويغمّسون به الزعتر. قلت في ذاتي: هذا أيضاً استثناف لحياة الأسلاف، فكل ما ينتمي إلى العالم التحتي يجد طريقه بطريقه ما إلى العالم العلوي... فدع عنك الوجل، واكتب المجازرة بمنهجية المقبرة.



مرئية رقم (24): قرية صرفند الخراب والمستعمرات المحيطة بها، قُمت بتحديدها على خريطة المسح الميداني في فيلق المهندسين الملكيين في الجيش البريطاني، المكتبة الوطنية الأسترالية، 1919.

## 5.2 القرية: صرفند الخراب التاريخ والموقع

تقع قرية صرفند الخراب (صرفند الصغرى) وسط سهل فلسطين الساحلي الأوسط، على بعد 7 كيلومترات غربيًّا مدينة الرملة. نشأت القرية على الجانب الجنوبي لتلال الكلرار، المكونة من صخور ذات أصل رملي متحجرة، وترتفع 50 متراً عن سطح البحر على الطريق السلطاني (يافا - غزة - بئر السبع)، وغير بعيدة عن الطريق الوacial بين طرقيي يافا-الرملة ويافا-غزة، المتوجه نحو النبي (وبين، موقع أحد المواسم الشعبية الرئيسية في فلسطين ما قبل النكبة على شاطئ المتوسط. والترابة الغالية على أراضي صرفند هي التربة الحمراء الرملية (الحمراء لاحتواها على أكسيد الحديد)، الخصبة وجيدة التصريف ذات المنشأ الكلرارى (تل الكلرار) التي تنتشر في أراضي القرية. وتقع القرية فوق حوض الساحل الفلسطيني للمياه الجوفية، حيث يسهل الوصول إلى المياه الجوفية حفراً، ولهذا كثرت آبارها وبئاراتها وانتشرت زراعة الحمضيات التي كانت تُصدر عبر ميناء يافا الذي يبعد عنها حوالي 15 كم إلى الشمال الغربي.

كانت القرية، حتى تهجيرها في شهر نيسان 1948، محاطة بالمستعمرات الصهيونية (الكوبانيات)، وتدخلت أراضيها الزراعية معها من الشمال في إبان الحرب العالمية الأولى، وهي: عيون قارة (ريشون لتسیون) من الشمال، ومن الشرق خربة بیار الليمون (بئر يعقوب)، ومن الغرب وادي حنين (نس تسيونا)، ومن الجنوب دیران (روحوفوت). وبحسب الإحصاء البريطاني للعام 1922، بلغ عدد سكان قرية صرفند الخراب 385 نسمة.<sup>66</sup>

## 5.3 "البوبيرية" وبير الغارب

نشأ جذر القرية حول بناء قديم ذي أقبية "كبير كفري" (أي روماني من زمن الكفار في لسان القرويين في فلسطين)، ويتكوّن البناء من عقدين أسطوانيين، تبلغ أبعاد كل منهما  $12 \times 7$  متراً بحسب مسح أثري بريطاني في العام 1943.<sup>67</sup> وتوجد في الجهة الجنوبية من العقود بئر

الغارب (والغارب من الماء أعلايه)، وهي بئر كبيرة يلاصقها خزان مقصور بالإسمنت. ويُقال في التاريخ الشفوي الصرفندي إن من يشرب من ماء "بئر الغارب" يكتسب القوة، وكانت عائلات القرية كُلّها تشرب منه.

وفي مجرزة القرية، ألقى جنود الإمبراطورية جثث الشهداء في البئر قبل إخراجهم ودفنهم من قبل أهالي القرية، وبقيت البئر عامرة حتى الثمانينيات، ومن ثم رُدمت ولم يبق من أثرها شيء، وذلك على إثر تلوث مياهها بمرض جرثومي وصلها من مستشفى "شموئيل هروفيفه"، القريب منها بفعل الفيضانات في المنطقة. ومما يجدر ذكره أن هذا هو المستشفى الذي نُقل إليه الأسرى الجرحى في حرب أكتوبر وحرب لبنان الأولى.



مرئية رقم (25): فدائي جريح أسير في حرب لبنان الأولى

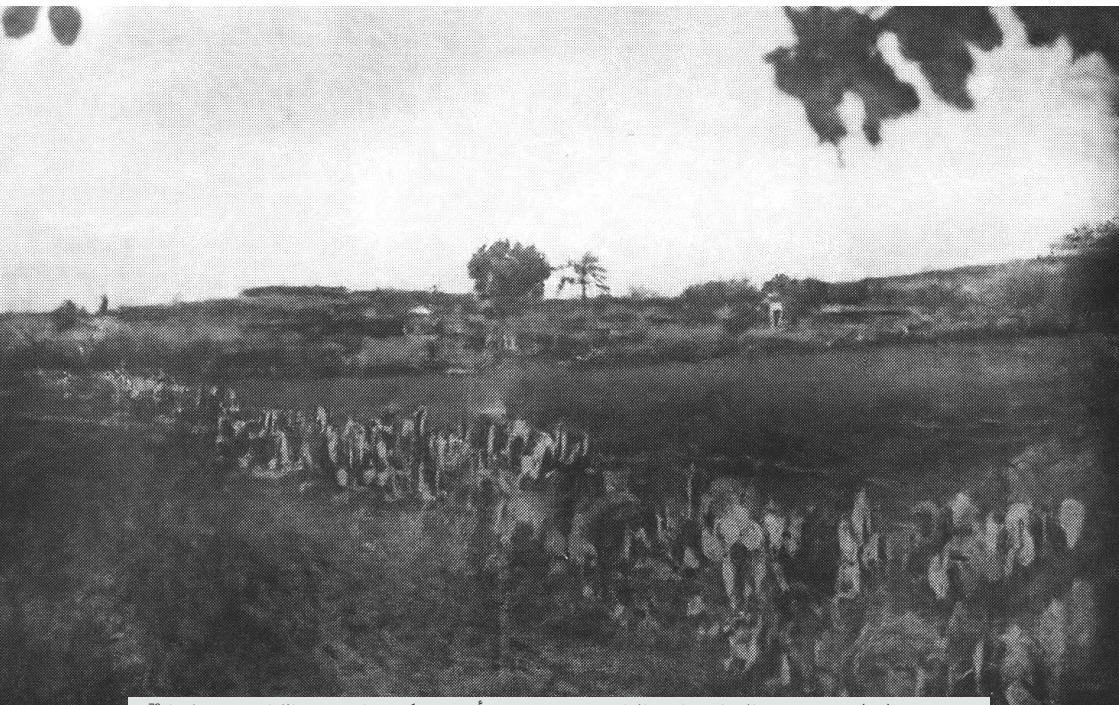
في مستشفى "شموئيل هروفيفه"، رونين شيفعف، 2021.<sup>68</sup>

يُسمّى أهل صرفند الخراب هذا البناء "الْكُفْرِي" بـ "البُوبِرِيَّة"، وهي تسمية تعود للفترة الصليبية، وقد توسيّع القرية حوله نحو الغرب والجنوب. ويعتقد بأن هذا البناء الصليبي قد بُني على أنقاض بناء قديم يعود إلى الفترة البيزنطية، ومن ثم الإسلامية، وذلك بحسب ما تُنبئ به الحفريات الأثرية التي كشفت عن آثار ولُقى بيزنطية وأخرى تعود إلى العهد الإسلامي المبكر. وقد انتشرت في الفترة الصليبية عدة مبانٍ في بلادنا فلسطين تسمى "البُوبِرِيَّة" أو "البُوبِرِيَّة"، وهي كلمة ذات أصل لاتيني (Bovaria) تعني المزرعة أو سوق الماشية.<sup>69</sup> وتوجد في فلسطين عشرة مواقع ومبانٍ تحمل اسم "البُوبِرِيَّة" يقع جُلُّها في جذر القرى، نذكر منها: بوبريات يازور وجفنة والطيبة وخربة التنور والزبابدة وفحمة.

وعلى الأرجح فإن المسح البريطاني، آنف الذكر، للبُوبِرِيَّة يصف ما ظهر من البناء، ويورد بأنه احتوى على سرداب طويل تحت الأرض. وفي زيارته للقرية في العام 1873<sup>70</sup> يقول المستشرق وعالم الآثار تشارلز كليرمونت جانابيو: إن البُوبِرِيَّة كانت جزءاً من مكونات الخربة، وإن القرويين يطلقون أسماء عدّة على مختلف أجزاء البُوبِرِيَّة، مثل: البُوبِرِيَّة والجبس وطاحونة الهوا، كما ينقل عن أهلها بأن مسمى القرية بالخراب يعود إلى عهد إبراهيم باشا.

وبحسب الحفريات الأثرية التي قامت بها سلطة الآثار الصهيونية خلال بناء وتوسيعة حي "يد إيلعزر"، الذي أقيم فوق جذر القرية القديم، تم الكشف عن بقايا مبني يقع في الشمال الشرقي من مقبرة القرية، وعلى الأرجح هو ما تبقى من مبني البُوبِرِيَّة. وفيما يتعلّق بمسمي القرية (صرفند)، فقد تم العثور في الطبقة الأثرية التي تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة في فلسطين،<sup>71</sup> على بقايا كثيرة لمخلفات صهر المعادن (خبث المعادن)، ما يدل على أن القرية قامت على موقع نشط لصهر المعادن من الفترة البيزنطية واستمر في الفترة الإسلامية المبكرة. هذا بالإضافة إلى العثور على عدة أوزان بعضها مدموغ بالعربية، الأمر الذي يدل أيضاً على أن القرية كانت سوقاً نشطة خلال هذه الفترة. ويصف الحاج يوسف إبراهيم، من مهجرى القرية،<sup>72</sup> البُوبِرِيَّة بأنها عقد

قديم "كُفري"، يحتوي على سردار طويل بنته الأقوام البائدة للاحتماء من "ريح صرصر" (في القرآن الكريم: وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ ضَرِّيْعَاتِيَّةٍ، الحاقة: 6).



مرئية رقم (26): قرية صرفند الخراب ما بين العامين 1918-1919، أرشيف مكتبة ماستيرتون اللوائية- نيوزيلندا.<sup>73</sup>

أجريت تجوالاً مسحياً في العام 2022 أكثر من مرَّة في موقع القرية، ولم أعثر على أيٍ بقايا لـ"البوبيرية"، والتي على الأرجح تمَّ تدميرها بشكل كامل خلال احتلال القرية وإقامة بيوت مؤقتة من الصفيح للمستوطنين الجدد في موقعها ومحيطها بعد احتلالها حتى بداية الخمسينيات، قبل أن يتم نقل المستوطنين إلى مساكن دائمة، مع العلم أن قسمًا من المستوطنين الصهاينة سكناوا في بيوت القرية قبل هدمها هي الأخرى ولم يتبق منها سوى ثلاثة بيوت. أما اسم القرية، فقد عُرفت صرفند الخراب كما استقرَّ عليه اسمها بعدة أسماء أخرى، منها: صرفند

الغربية، وصرفند الجديدة، وصرفند الصغرى في مقابل صرفند الكبرى (صرفند العمار).

نَحِيرَ لَدْ				
نفس لدقصبه <sup>٧٤</sup>				
كليسه ١	مساجد ٣	روم ٢٠٧	اسلام ٦٧	خانه
معصره ٩	حمام ١	دكابن ٢٠	فرن ٢	خان ٢
شاكلهانغ ٢٠	مكتبيغ ٣	شاكلهان ٧	مكتب ٣	صابونخانه ٩
قرية نينا ٣٣	قرية ساقرية ٥٣	قرية كفعنانا ٦٥	قرية شحين ٦٦	قرية شيلور ٣٣
قرية بئراندين ٣٠	قرية عطابا ١٢	قرية دانيل ٧٩	قرية جدهار ٢٤	قرية بوديه ٢٤١
قرية دير طريف ٩٠	قرية طبره ٥٥	قرية صرفند البار ٢	صرفند البار ٣	قرية ضينا ٧٨
صرفند خانه ١٤٦٦	صرفند قره ١٨	صرفند قوله ٣٨	صرفند مزيرعه ٧٧	صرفند بستانلا ٦٨

<sup>٧٤</sup>. مرئية رقم (27): سالمنامة ولاية الشام 1288 هـ / 1871 م.

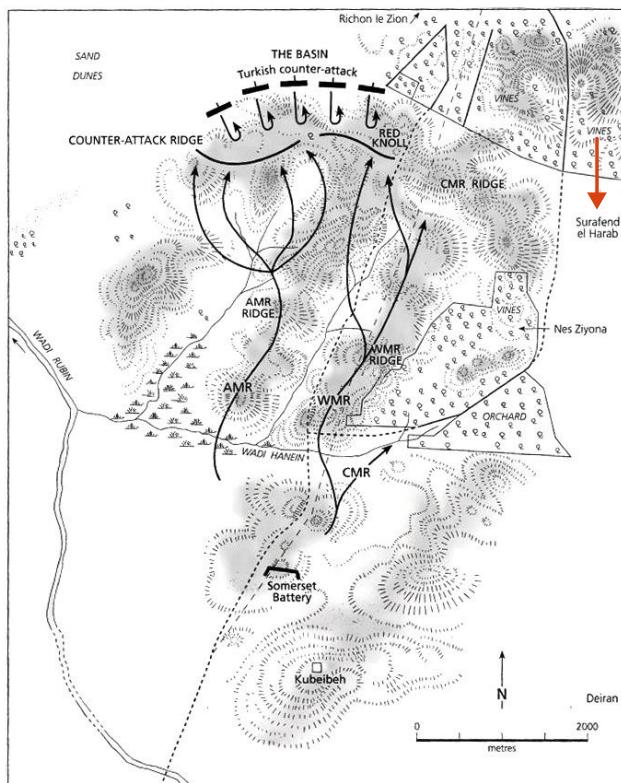
وفي بلادنا فلسطين، هنالك ثلات قرى تحمل اسم صرفند: الأولى صرفند قضاء حيفا، والثانية صرفند العمار أو الكبri، والثالثة صرفند الخراب (أو صرفند الصغرى). وعلى الأرجح أن الاسم (صرفند) جاءها من صرف المعادن، أي صهرها، ومن ضمنها مكان سُكُّ العملة. وينتفق أهل صرفند على كونها سوق صرف النقود، أي مكان سُكُّها. وأما صفة الخراب، فإن ما تنقله الوثائق العثمانية تؤكد أن صفة الخراب في اسم القرية سابقة على حادثة حرقها من قبل الإنجليز، موضوع هذه الدراسة، كما تثبتته خطأً العديد من الكتابات حول القرية، وعلى الأرجح يعود خراب القرية بفعل الغزوات البدوية في القرنين السابع والثامن عشر. ففي سالمانمة ولاية الشام 1288 هجرية (العام 1871 ميلادية)، يظهر اسم القرية صرفند الخراب في ناحية اللد، وغير ذلك من المصادر، ما يذكر بأن حالتها تتشابه مع موقع أضييف إلى اسمها "الخراب" في قرى فلسطين، نحو: زيتا الخراب (قضاء الخليل) وعراق الخراب (قضاء المجدل). وهي بهذا تعني المنطقة التي خربت بعد هجرها من قبل أهلها وانتقالهم إلى موقع قريب عمروه واحتفظوا باسم القديم. وأما عن إعمار صرفند الخراب، فالقرية كانت خربة مهجورة لا بناء فيها سوى عقد "البوبيرية" وبئر مياه مجاور هاجر إليها حمدان الشايب وإبراهيم الشايب، جَدًا عائلتي حمدان وإبراهيم قادمين من عبوين قضاء رام الله على إثر هجوم غادر من قبل آل سحويل، بعد أن استنجد بهم آل مزاحم في صراعهم مع آل إبراهيم، وبقوا فيها حتى النكبة وعاد بعضهم إلى عبوين على إثر التهجير<sup>75</sup>، كما تتفق عليه مقابلات التاريخ الشفوي لأبناء القرية. ولا يمكننا الجزم، في هذا المقام، بأن الفارين من بطش آل سحويل اختاروا القرية بمحض إرادتهم أم أنَّ السلطات العثمانية أسكنتهم فيها، إذ من المعروف أن السلطات العثمانية كانت تستغلُ الصراعات في إعمار القرى المهجورة والخرب البائدة بنقل أحد أطراف الصراع إليها.<sup>76</sup>

## 5. الحرب العالمية الأولى في فلسطين: العمليات العسكرية في قطاع صرفند الخراب حتى هدنة مودروس الموقعة في 30 أكتوبر 1918

بعد أن نجحت القوات البريطانية في كسر خط الدفاع العثماني غزة-بئر السبع ضمن ما عرف بمعركة غزة الثالثة (31 تشرين الأول 1917)، والتي أصدرت على وقعتها وزارة الحرب البريطانية وعد بلفور وأعلن عنه في 2 تشرين الثاني 1917، بدأت المرحلة التي يُطلق عليها في التاريخ العسكري البريطاني للحرب العظمى في فلسطين اسم "مطاردة سهل فلستينا"، السهل الساحلي الفلسطيني، للقوات العثمانية المنسحبة شمالاً. وفي 14 تشرين الثاني 1917، خاضت القوات العثمانية المتخدقة على تلال الگرکار، غرب وشمال-غرب قرية صرفند الخراب، معركة ضارية مع رأس حربة القوات البريطانية قوات الخيالة النيوزيلندية في معركة عيون قارة، وكانت هذه المعركة بمثابة المحاولة المستيمية الأخيرة للقوات العثمانية للدفاع عن خط الدفاع الثاني (القدس-الرمלה-يافا) بعد كسر خط الدفاع الأول (بئر السبع-غزة).

تكونت القوات النيوزيلندية من ثلاثة أفواج للخيالة، وهي "أوكلاند" و"كانتربي" و"ولنغتون"، بالإضافة إلى سرب المدافعين الرشاشة الأول. استمرت المعركة حتى المساء، وقاتل فيها الطرفان بضراوة، وانتهت بانسحاب الجيش العثماني لتأسيس خط الدفاع الثالث، ما عُرف باسم خط العوجتين (نهر العوجا شمال يافا غرباً - والعوجا قضاء أريحا شرقاً). وعلى تلال صرفند الخراب، كان تحقيق النصر على القوات العثمانية مكلفاً للقوات النيوزيلندية، التي وصلت خسائرها نحو 50 قتيلاً، وهي الخسارة الأكبر في معركة واحدة لهذه القوات في عملياتها العسكرية كلّها في حرب فلسطين<sup>77</sup>، والتي استمرت حتى شهر أيلول 1918 وانتهت بالهجوم البريطاني الكاسح المعروف بـ"معركة مجدو والمعروف عثمانياً بمعركة نابلس". وفي 30 تشرين الأول 1918، وُقّعت اتفاقية في ميناء مودروس اليوناني لوقف إطلاق النار، وبهذا انتهت العمليات العسكرية في فلسطين، وعلى الجبهة الشرقية عموماً، بهزيمة

الدولة العثمانية. ومن ثم أُخضعت أراضي متصرفية القدس بكمالها وسنجقا عكا ونابلس بحسب التقسيم الإداري العثماني لـ"إدارة أراضي العدو المحتلة-لواء الجنوب" (Occupied Enemy Territory Administration- South)، هذا الإخضاع الذي سيعرف تاليًا باسم فلسطين الانتدابية. وقد استحدثت هذه الإدارة العسكرية، التي أسسها اللنبي في نيسان 1918 لـ"إدارة أراضي العدو المحتلة" (OETA-SOUTH)، في العام 1918، وتولّ قيادتها اللواء آرثر ويغراهام موني حتى عزله عن منصبه في حزيران 1919، بعد احتجاج من حاييم وايزمن بزعم بأنّ موافقه "غير مؤيدة" للصهيونية.<sup>78</sup>

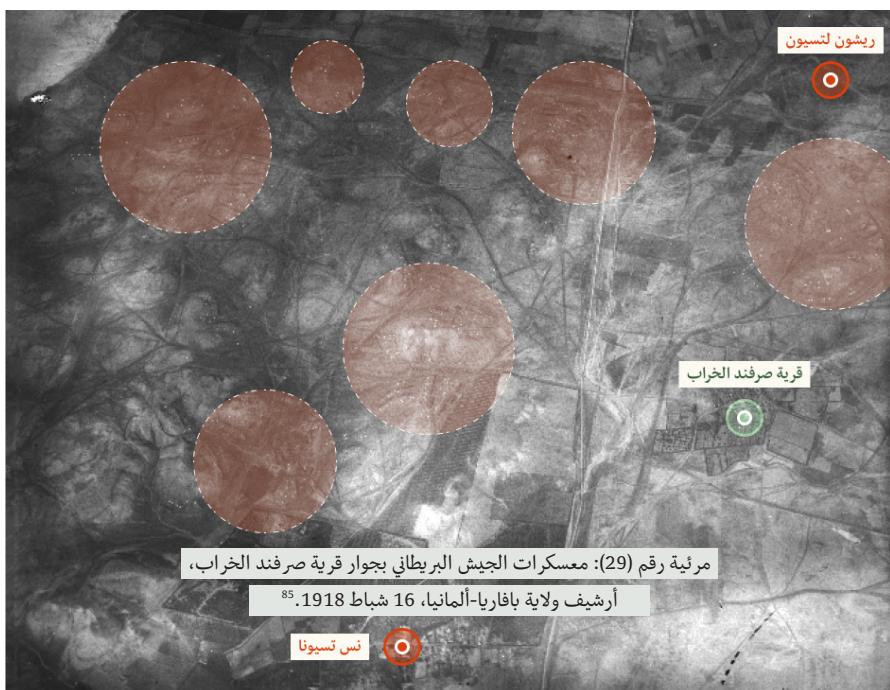


مرئية رقم (28): خريطة عسكرية نيوزيلندية لمعركة عيون قارة، تيري كينلوك، 2016.<sup>79</sup>

وفي سياق التحولات التي سبقت مجردة صرفند الخراب، حدثت انعطافات في النشاط الصهيوني بعد أن افتتحت اللجنة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمان مكتب اللجنة اليهودية في يافا مطلع العام 1918، ونظمت في تشرين الثاني مسيرةً احتفاليةً في القدس بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوعد بلفور رافعة الأعلام الصهيونية بشكل علني للمرة الأولى.<sup>80</sup> وفي هذه المسيرة، 2 تشرين الثاني 1918، حدث الصدام الأول بين الفلسطينيين والصهاينة تحت الحكم البريطاني العسكري في تلك الفترة، حيث نظم الفلسطينيون مسيرة مضادة تحولت إلى اشتباكات عنيفة في باب الخليل،<sup>81</sup> في الوقت الذي بدأت فيه حالة الغليان بين الفلسطينيين تصل إلى نقطة قياسية بسبب معاناتهم الناشطة الصهيونية المحموم ووصولهم إلى قناعة أن الإنجليز يقومون بخطى حثيثة لتحويل وعد بلفور إلى واقع على الأرض. وفي مراسلات جنرال كلايتون في 18 تشرين الثاني 1918، تشير التقارير الاستخباراتية البريطانية إلى أن التأييد الذي تمتّع به الإنجليز بين الفلسطينيين خلال العمليات العسكرية، بحسب تقدير هذه التقارير، قد انقلب إلى حالة حنق، وأن عرب فلسطين يعارضون الصهاينة بشدة ويرتابون من مخططاتهم،<sup>82</sup> على الرغم من أن السياسة العامة التي أعلنتها الإدارة العسكرية هي "الحفاظ على الوضع القائم". في المقابل، كانت هذه السياسة سبباً لنشوء التوترات بين قادة اللجنة الصهيونية والإدارة العسكرية، حيث رأت اللجنة الصهيونية بأن الإدارة العسكرية لا تقوم بتطبيق السياسة الرسمية لبريطانيا الخاصة بفلسطين والتي حددتها وعد بلفور. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى سيل الهجرة الصهيونية إلى فلسطين في هذه الفترة، فقد أمكن ملاحظة الأعداد الكبيرة للمستوطنين الجدد كما يشير محضر اجتماع اللجنة الشرقية -الشرق الأوسط في الإمبراطورية البريطانية مبكراً، بتاريخ 5 كانون الأول 1918.<sup>83</sup>

وفي 30 أيار 1918، كتب وايزمان لبلفور رسالة ينقل فيها وصفاً للحالة في فلسطين من "موقع المسؤولية" محرّضاً على استمرار العمليات القتالية التي كانت تمّ بمرحلة جمود وقتها قبل استئناف العمليات القتالية. وفي رسالة أخرى في شهر أيلول 1918 يحدّر فيها من التبعات السلبية لهذه الحالة على هيبة بريطانيا بين "العرب الذين يعبدون القوة"، مذكّراً إياه بالطبيعة العادرة للعرب.<sup>84</sup>

وقدت مجزرة صرفن드 الخراب خلال مرحلة انتظار وتحضير القوات لتسريحها، مع تحول معسكرات القوات البريطانية إلى مراكز للنشاطات التثقيفية التعليمية تحضيراً لعودتهم إلى بلادهم عبر الموانئ المصرية من حيث قدمت إلى فلسطين. حلّت المجزرة في 10 كانون الأول 1918، أي بعد توقيع اتفاقية مودروس لوقف الأعمال القتالية بين الدولة العثمانية وقوات الحلفاء في 30 تشرين الأول 1918، وسريانها ظهيرة اليوم التالي. في ذلك الوقت، كانت معسكرات قوات "الأنيذك" تتوارد في منطقة عيون قارة بقيادة الجنرال راييري في مستوطنة "نس تسيونا" (وادي حنين) وقادتها العليا في مستوطنة "رحوفوت" (ديران). وكانت هذه المعسكرات تمتد من مستعمرة "ريشون لتسیون" (عيون قارة) شمالاً حتى مستعمرة بئر يعقوب (بئر سالم) جنوباً [بيار الليمون] حيث استخدم النبي مبني المستعمرة الألمانية "شبون" مقرًا لقيادته. وتحيط هذه المعسكرات بقرية صرفندي الخراب من الجهتين الشمالية والشرقية، بالإضافة إلى التلال الغربية المتاخمة لمستعمرة "نس تسيونا" (وادي حنين).





مرئية رقم (30): بيوت مستعمرة "نس تسيبونا" ومعسكر لجنود "الأنراك"<sup>٨٦</sup>  
وفي الأفق البعيد قرية صرفند الخراب، متحف الذاكرة الحربية-أستراليا، 1918.

## 5.5 الليلة الليلاء: وقائع المجازرة

### 5.5.1 مجازرة صرفند الخراب في التاريخ والوعي الصرفندي

تتألف مصادر رواية أهالي قرية صرفند الخراب لوقائع المجازرة التي تمكّنت من جمعها من مقابلات التاريخ الشفوي والمقالات المنشورة على موقع فلسطين في الذاكرة، بالإضافة إلى بعض المقابلات المصوّرة على موقع التواصل الاجتماعي، ورسالة خطية موجّهة إلى أكرم زعيتر من أحد أهالي القرية، إلى جانب روايات مهجّري قرية صرفند العمار، والتي يأتون فيها على ذكر المجازرة في معرض السؤال عن سبب تسمية القرية بالخراب أساساً.



مرئية رقم (31): صورة الحاج يوسف إبراهيم رحمة الله من مهجّري قرية صرفند الخراب، فلسطين في الذاكرة، 2008.

يقول الحاج يوسف إبراهيم، من مهجري القرية ومن مواليد العام 1928، في مقابلة التاريخ الشفوي على موقع فلسطين في الذاكرة، أُجريت معه في ناعور في الأردن في العام 2008<sup>87</sup> إن المجزرة: "في صرفند سببها جماعة غروا المعسكر تبع [التابع لـ] الجيش وأخذوا النقود تبع الجيش من خيمة كانت موجودة للجيش وكان فيها ضابط بريطاني. بعد فترة قاموا على صرفند وغزوها الجيش البريطاني، وحرقوا البلد في الليل بعد الساعة 12 - 1، راح فيها حوالي 18 شخص". وفي موقع آخر من المقابلة ذاتها يقول إن "18 بيت تم حرقها... ولعوا النار والناس نايمه... وبعد فترة من الزمن نمت صرفند وسميت صرفند الظاهرة".

وفي مقابلة ثانية مع السيد محمد حسن إبراهيم، من مهجري القرية ومن مواليد العام 1930، أُجريت في العام 2005<sup>88</sup> يصف وقائع المجزرة وفق التسلسل التالي: "أول دخول الإنجليز سنة 1917، الإنجليز عسكروا في أراضي البلد، أجا واحد حرامي به يسرق من المعسكر وصحي عليه الصابط وقتل الضابط وعبر على البلد... قصوا الأثر لقووا الأثر خاشش [داخل] على البلد، طوّقوا البلد ثلاثة أطواق: مشاة وخيل ومشاة. صار اللي يعبر يخلوه يعبر، واللي يطلع ما يخلوه يطلع، وصاروا يقتلوا في الناس... كانت بيوت الناس قش، وولعوا النار في قش لبيوت... اللي يهرب يستنوه على الباب، اللي يهرب من النار يقتلوه... قتلوا 17 واحد، وجمعوا أهل البلد الحرير على جال [جهة] أخذوههم كان جنب البلد شبه مستعمرة واحد اسمه "شبون" ألماني، كانت قيادة البلد إنجليزية. اللي حرقوا البلد أسترالية، راحوا البلد على المعسكر على قيادة الجيش وطلبو منهم وقف المجزرة ورجعت البلد..."

روايات عدة على موقع القرية في فلسطين في الذاكرة تتفق على القول: إن جنوداً فرسان إنجليز استفزوا أهالي القرية، فقام الثوار بقتل أحد الجنود، وبعدها قام الجيش البريطاني بعملية انتقامية في القرية محضررين بهم صهريج بنزين وحرقوا بيوت القرية، وقتلوا من يحاول الهروب من النيران بالبلطات، فُقتل حوالي أربعين... وأصبح أهالي قرية صرفند الخراب أول لاجئين في فلسطين، وقد عاد أبناء القرية إلى قريتهم بعد مفاوضات بين روسيا وبريطانيا من أجل إعمار البلدة، وفعلاً قامت روسيا بتقديم تبرعات وحصلت على إذن من

بريطانيا لِإِعْمَارِ القرية وإِعادَةِ أَهْلِها المهجَّرين، وعادُوا فعلاً باسْتِثناءِ عدَّ قليلٍ كَانَ قد رَتَّبَ أمورَهُ في المدن المجاورة وبقيَ مقيماً فيها.<sup>89</sup>

وفي شهادة ثالثة ينقلها علي محمد إبراهيم،<sup>90</sup> أحد مهجري القرية عن جدّته التي عايشت المجازرة، يقول: إن مجموعة من الجنود قادمين من معسكر "شبون" تحرّشوا بنساء القرية في طريقهن إلى أحد آبار القرية، ومن ثم فرع شباب القرية وضربوا جندياً ضرباً مبرحاً وتم نقله إلى المشفى. ومن ثم هاجم جنود بريطانيون من جنسيات مختلفة القرية، نيوزلنديون وأسكتلنديون وبريطانيون، وقاموا بحملة تفتيش عن الشَّيْءَانَ الذين ضربوا الجندي. وبعد ثلاثة أيام، كان أهل القرية وخاصة شبابها يعملون خارج القرية وقد انتظر الجيش البريطاني حتى ساعات ما بعد العصر وقاموا بإخراج النساء من البيوت وإحراق البيوت، وقتلوا ثمانية عشر شخصاً من أبناء القرية من ضمنهم شقيق جدّي لوالدي علي ذيب خليل إبراهيم، ومعه من الذين عرفتهم فوزي يعقوب درويش إبراهيم وأحمد محمود عنبر ومحمد رشاد حسين العويني وعلى حسن حسين العويني وداود عنبر ومحمد نصر حمدان وشخص من أبناء عائلة مطر وأحد الضيوف الذي كان ينزل عند أحد أبناء عائلته من عائلة العويني، وكذلك العبد ذيب محمود حمدان وخليل عبد اللطيف حمدان. وأن الجنود البريطانيين قاموا بقتل فوزي يعقوب درويش إبراهيم وفصلوا رأسه عن جثته، وقد عُثِرَ على رأسه في مكان بعيد عن الجثة. وبحسب هذه الشهادة، فإن الجنود الهنود حاولوا التدخل لوقف الجرائم وإخراج الموقى (من البئر) ودفهم. وغادر أهالي القرية قريتهم إلى القرى والمدن المجاورة وقد مكثوا ما يزيد عن شهرين أو ثلاثة أشهر خارج القرية.

وفي مقال كتبه علي إبراهيم الصرفendi بعنوان: "محرقة صرفند الخراب"،<sup>91</sup> يقول: صرفند الخراب، قرية صغيرة تقع شمال غرب مدينة الرملة المحتلة في فلسطين، وقعت كما وقعت باقي مدن وقرى فلسطين تحت الاحتلال البريطاني. صرفند الخراب، قصة تعيش في ثنيا الماضي، كنت أعتقد أنه لن يتم نি�شهَا إلى أن تم اختياري لسرد قصة خراب القرية من قبل جنود الاحتلال البريطاني، يقوم على توثيقها مؤسسه صحافية يرأسها شخص نيوزيلندي

يدعى كريس كوك. وقد أثارت هذه القصة آلام وذكريات الماضي بالرغم من أنني لم أكن موجوداً بعد في هذه الدنيا، ولكن الألم يبدو أنه يتواصل ويورث ولا ينتهي عند مرور بضع سنوات بل قد يتآكل الشخص الذي سمع القصة أكثر من أولئك الذين عايشوها، وهذا ما شعرت به بعد فتح أحداث صرفند الخراب التي وقعت في العام 1918، وهي قصة حريق وتدمير القرية من قبل الجيش البريطاني وقتل عدد من خيرة شباب القرية. كان من بينهم شقيق جدي لوالدي، والذي حملت اسمه تقديرًا لمكانته في قلوب العائلة، والذي لا زلتنا حنواول إحياء ذكراه ونجي قصته لأبنائنا ونطالبهم بأن ينقلوها لأبنائهم وأحفادهم حتى يبقى اسمه خالدًا في عقولنا وفي ذاكرتنا الذي لن تنساه. وقد فوجئت بأنه ليس الألم الذي أشعر به مصدره شقيق جدي، بل هناك عدد كبير من الذين استشهدوا معه في تلك الأحداث، وأن هناك بيوتاً هدمت وقرية أحرقت بفعل انتقامي من قبل جنود يعتقد أنهم نيوزيلانديون حاقدون. كان انتقاماً بشعاً، إذ لم يكتفوا بقتل ثمانية عشر شاباً مقابل جندي يخدم في الجيش البريطاني، والذي يعتقد أنه نيوزيلاندي، بل قاموا بحرق القرية وتشريد أهلها حيث فروا من القرية لينجوا بأرواحهم خوفاً من بطش الجيش الذي جاء ليتنقم لجندي تقول الرواية إنه قتل على أيدي بعض شباب القرية عندما قام بالتحرش بفتيات من القرية كنَّ يملأن الماء من بئر ارتوازية. وتشتتوا في القرى والمدن المجاورة. وكانوا أول مهاجرين بعد هجرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. هذه الأحداث عادت وبقوه تنبع حياتنا، أنا وعائلتي أخذنا نتخيل كيف كان شعور جدي عندما قُتل شقيقه الوحيد وكذلك القتيل ابن عمها شقيق والدها الذي لم تنسه إطلاقاً بل وفي كل أسبوع كانت تحكي لنا كيف قتله الجنود البريطانيون عندما دخلوا إلى منزلنا حيث كان يعيش جدي وشقيقه في بيت مشترك، وقد نجا جدي إلا أن شقيقه لم ينجُ... و [نخيلاً] كيف تم إحراق القرية وتشريد أهلها. أخذت أتخيل كيف هرب أهل القرية وتركوا أموالهم في العراء إلى أن حضر جنود بريطانيون من أصل هندي وكانوا قد عرَّفوا على أنفسهم بأنهم "مسلمون"، وقاموا بجمع الجثث ودفنها، وإن إحدى الجثث كان قد فصل الرأس فيها عن الجثة. عندما كنت صغيراً، كنت أعتقد أنها حكاية ترويها جدي لنا من أجل التسلية. لم أكن لاحظ عينيها التي تغرس بالدموع وهي تروي لنا القصة، ولكن

بعد أن استعدت ذكرياتي وحدث جدي عرفت كم عانت من الألم والحزن على شقيق جدي (ابن عمها) وشقيق زوجها والكره الذي كانت تحمله للجيش البريطاني ومن ساعدتهم في تدمير القرية وقتل أبنائهما... الآن عرفت أن هناك غيرنا من أهالي القتلى ما زالوا يتآلمون وما زالوا يروون قصة حريق القرية التي انتقلت إليهم عبر الآباء والأجداد، ولكنهم يتآلمون بصمت. إنني أيضاً تألمت، لأنني كنت أنسى هذه الأحداث، ولم أقم بتوثيقها، وقررت من الآن توثيق هذه الأحداث ليس فقط من أجل أن يعرفها أبناءنا وأحفادنا، ولكن أيضاً من أجل أن يختلط شعوري بالألم والحزن مع ما أكتبه عن قريتنا التي لم تنتهِ آلامها وأحزانها بهذه القصة، وإنما هناك أحداث أخرى كان سببها نكبة العام 1948، وليقرأ أبناء الحزن في سطور هذه القصة الذي شعرت به أثناء كتابتها.

مع كل تقدير واحترامي للصحي النيوزيلندي الذي أراد توثيق هذه القصة، والذي أهدر من الجهد والوقت الكثير لمعرفة الأحداث بشكل صحيح، إلا أنه جاء متأخراً سنوات طويلة، حيث إن أهل القرية أثناء أحداث هذه القصة لم يكونوا على دراية ومعرفة بتوثيق الأحداث ولم يكن فيها حتى من يعرف القراءة والكتابة وقد تناقلوها جيلاً بعد جيل شفاهة. ولم يخطر ببال أحد أن يدون أحداث هذه القصة حتى بعد أن أصبح فيها عدد لا يأس به من المثقفين حتى أصبحت مجرد حكاية ترويها الأم لابنها عند النوم، وحتى أننا فقدنا في مرحلة ما الشعور بالألم على ما أصابنا نتيجة هذه الأحداث. ولكن، كما يبدو، أن الألم يتواصل، ولكنه بحاجة إلى ما يثيره، وقد تشعر به أكثر عندما تكون داخل الحدث ولو بشكل غير مباشر. هذا ما شعرت به أثناء حديثي مع السيد كوك كرييس: شعرت بأنني ما زلت أعيش أحداث هذه القصة وشعرت بالألم عائلتي التي فقدت عدداً من الشهداء. في حينه، أخذت أستذكر بكاء ونحيب الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن والزوجات اللواتي فقدن أزواجهن. أخذت أشعر بالألم الذي عاشه أبناء القرية عندما غادروا القرية لا يلرون على شيء وهم أبناء القرية الفقيرة التي تعيش ظروف احتلال بريطاني، وكانت الحرب قد وضعت أوزارها، ولا يجدون ما يأكلونه حيث كانوا يعيشون على زراعة الأرض وهي مصدر

رزقهم الوحيد وقد تركوه. أتخيل كيف كان شعور أهل القرية بعد مغادرتها وهم ما زالوا يبكون موتاهم وبيوتهم المدمرة، وما هو المستقبل الذي ينتظرونهم وهم دون مال أو مأوى. أتخيل حيرتهم وهم لا يجدون ما يسدّون به رمق أبنائهم وعائلاتهم. أتخيل كيف كان شعورهم وهم لا يستطيعون حتى مقاضاة الجنود الذين قاموا بهذه الجرائم أو مساءلتهم وهم يشاهدونهم صباح مساء. أتخيل كيف أن هناك بشراً ينتقمون بهذه الفضاعة وال بشاعة يقتلون ويدمرون ولا يجدون من يقف في وجههم ليمنعهم أو حتى يعنفهم على فعلهم، لا بل يعتبرون من قاموا بهذه الجرائم أبطالاً وهم ليسوا كذلك. أتخيل كيف أن بريطانيا، وحتى الدول التي انضمت تحت رايتها عند احتلال فلسطين، سكتت عن هذه الجرائم، ولم توثقها، ولم تنشر كلمة واحدة عن أحداث القرية، ولم تقدم أي اعتذار لأبناء القرية، وإنما تعاملت مع الحدث كمحتل يرى في هذه الأحداث تأديباً للذين يقعون تحت الاحتلال، وعملية ردع لمن يتجرأ أن يمس جنود الاحتلال بسوء.

عندما كنت صغيراً، كنت أخجل عندما يسألني شخص: "من أين أنت؟" أن أقول له من قرية صرفند الخراب، حيث إن هناك قرية أخرى، ليست بعيدة عن قريتنا، تدعى صرفند العمار، ولم أكن أعرف، في حينه، لماذا سميت صرفند الخراب، والآن لاأشعر بالفخر فقط لأنني عرفت هذه الأحداث، حتى أني أصبحت أعيشها وكأنها حدثت قبل أيام، وإنماأشعر أيضاً بكرابطة كل من تسبب في معاناة قريتنا وأهلها. إنني لم أكن أتصور أن أحداً كهذه قد وقعت وعلمت بها القيادة البريطانية ولم يقم أي مسؤول ببذل أي جهد لمعرفة حقيقة ما حدث، أو تقديم من قاموا بهذه الأعمال للمحاكمة، ولكن تبيّن لي أن بريطانيا وبالرغم من قوتها وثقافتها، في ذلك الحين، إلا أن جنودها تصرفوا كالعصابات لا كجنود لدولة عظمى.

إن حادث حريق القرية لم يكن حادثاً عابراً، أو نتيجة لخطأ قام به جنود الاحتلال البريطاني، وإنما كان يقصد منه زرع الخوف والرعب في قلوب أبناء فلسطين بشكل عام وأبناء القرية والقرى المجاورة لها بشكل خاص، وعلى ما يبدو نجا من العقاب جميع من اشتركوا في هذه الجريمة.

أما شاهد العيان الوحيد الذي وصلتنا شهادته المكتوبة من أهالي القرية، فهو جبر سليم محمد، والذي سجّل شهادته في رسالة إلى أكرم زعير بتاريخ الخامس من أيار 1932:<sup>92</sup>

"أخي الأستاذ أكرم زعير المحترم: سمعت أنكم تودون معرفة قصة حرق البلد المنكوب (صرفند الجديدة) على أيدي الإنكليز عام (1918). حيث إنني من هذا البلد وممّن شهدوا تلك الليلة السوداء، فإنني رغبت في أن أكتب إليكم عما أستطيع تذكره من تلك الحادثة المشؤومة.

كان هناك مخيم للجيش الإنكليزي حول بلدة صرفند، كما كان إلى جانب القرية ثلاثة مستعمرات يهودية تفتح أبوابها للجنود الإنكليز ليأتوا إليها للسكر والعربدة، وكان هؤلاء الجنود يمرون في طريقهم للعودة إلى معسكرهم ببلدنا وهم سكارى يعربدون. وقد ضايق هذه الأعمال أهالي القرية الذين اضطربوا للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم بأن اتفقوا على تعليق أجراس في دكاكين البلدة ومجتمعها لتدقّ عندما يدخل هؤلاء الجنود إلى القرية. وكثيراً ما دارت اشتباكات بالأيدي والعصي والحجارة بين أهالي البلدة والجنود السكارى، ثم تنتهي بطرد هؤلاء الجنود من القرية، ما أثار حنقهم على أهالي البلدة، وقد حاول الأهالى لفت نظر الحكومة إلى هذه الأعمال عن طريق العرائض والشكاوى التي رفعوها إليها ولكن ما من مجيب.

وفي أحد الأيام، زعمت الحكومة أن رجلاً من العسكر قد وجد مقتولاً في مخيّمه إثر ضربه، ومع أن هناك خمس أو ست بلدات بجوار بلدنا، كما أن هناك ثلاثة مستعمرات يهودية أو أربع، وكان الجيش [البريطاني] يحيط بها جميعاً، إلا أن الحكومة أذاعت أنه قُتل في بلدنا، مع أن البلدة بريئة من دمه. وعلى إثر ذلك قامت قوة من الجيش بمداهمة بيوت القرية أثناء النهار، وجمعت كل ما في القرية من عصى وسكاتين، ونهبت ما وصلت إليه يدها من حليٍ وأموال، وقامت بجمع بعض الرجال ثم أطلقت سراحهم. وعندما حلَّ الظلام،

وحوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً، هجم الجنود المشاة على القرية وأحاطوا بها من كل جانب، وهنا دقّت الأجراس في البلدة واجتمع المدافعون عنها، ولكن، حيث إنهم عزّل من السلاح، والجنود مدجّجون بالسلاح، فقد لجأ الأهالي إلى تهريب النساء والأطفال إلى بناء قديم حصين في القرية، لا يعرف دهاليزه أحد غير أهالي البلدة أنفسهم، وخرج الرجال لمقابلة الجنود فمنهم من نجا، ومنهم من قُبض عليه الجنود وأردوه قتيلاً، ثم قام الجيش بإحرق منازل القرية كافة. وفي الصباح، انسحب الجيش تاركاً القرية خربة محترقة، وبعض الرجال جثثاً ملقاة على الأرض، وعدد كبير منهم مثخناً بالجراح. وقد جاء الحكم للقرية في الصباح فأمر بدفع الموتى [الشهداء] وبرحيل السكان إلى مكان آخر دون أن تعين الحكومة لهم جهة أخرى يسكنون فيها، ودون أن تأبه بأن السكان قد أصبحوا لا يملكون الخبز ليأكلوه، أما الجرحى فمنهم من قضى نحبه بعد عذاب شديد، ومنهم من قُضي عليه بأن يبقى ذا عاهة مدى الحياة.

وبعد فهذه هي الرواية الحقيقة لما حدث في بلدتنا أقصُّها عليكم كما وقعت.  
وتفضلو بقبول فائق الاحترام.

وأما المؤرخ الشعبي لقرية صرفند العمار، محمد سرحان عبد الرحيم، من مواليد العام 1934، فيذكر في مقابلة معه أجراها موقع فلسطين في الذاكرة، أن الجنود الإنجليز في سنة الاحتلال اعتدوا على إحدى بنات قرية صرفند الخراب، فأقدم شابان من أهالي القرية على ذبحه، وردَّ الإنجليز على ذلك بتدمير البلد وترحيل أهلها.<sup>93</sup>

تشابه هذه الرواية مع ما ينقله أحد أفراد عائلة عبر الصرفندي، في مقابلة مصورة أجراها معه الأستاذ جلال رمانة بتاريخ 20 كانون الأول 2013، يقول فيها إنه كان هناك ثلاثة جنود إنجليز سكاري حاولوا الاعتداء على بنات القرية، فقتلتهم أهل البلد، وواحد منهم ذي [أي أحد الجنود] رسم سهماً بالدم يشير إلى القرية، فقام الإنجليز بتطويقها

ثلاثة أطواق وقتلوا رجال البلد كأهلهم. كما يروي بأن جده الذي كان يبلغ من العمر ست سنوات قد نجا بعد أن ألبسته أمه ثوباً.<sup>94</sup>

يتضح من روایات أهل صرفند الخراب أن المجذرة جاءت ضمن تاريخ ممتدٌ من اعتداءات أو محاولة اعتداء الجنود البريطانيين على نساء القرية بشكل خاص، وعلى أهل القرية عموماً، وبأن المجذرة جاءت انتقاماً لتصدي أهل البلد لعربدة الجنود السكارى المتكررة على القرية. وبحسب هذه الروایات، فإن أهل القرية قد نظموا أنفسهم لمقاومة هجمات جنود الإمبراطورية على قريتهم باستحداث عادة قرع الأجراس لإعلان الاستنفار للمواجهة، كما أورد السيد جبر سليم محمد في رسالته لأكرم زعير، أن أهل قرية صرفند الخراب لم ينتظروا حدوث المجذرة ساكنين مستسلمين للذبح، فقد قام رجال القرية بتأمين نسائهم وأطفالهم بتخبيئهم في دهاليز "البوبيرية" التي لا يعرف الغزاوة الطريق إليها. وقد أسلحت أعلاه في وصف "البوبيرية" لا من باب البكاء على أطلال البلد وتوثيق معالمها، وإنما للدور الذي لعبه البناء الأثري في مقاومة الغزاوة، وقد أعيد تعريفه في لحظة المواجهة كحصن دفاعي عن القرية. ومن ثم خرج المدافعون عن القرية لمقاومة جنود الإمبراطورية، فمنهم من نجا ومنهم من كان نصيبيه الشهادة. فمجذرة صرفند الخراب بقدر ما كانت مجذرة بشعة، كانت معركة بطولية، وأن أهل القرية، أو جزءاً كبيراً منهم، بقوا صامدين فيها بعد المجذرة-المعركة، وتم تهجير من بقي فيها من أهلها بأمر عسكري. وهنا يتضح الهدف الحقيقي للمجذرة، ألا وهو تهجير القرية، وبأن عملية حرق بيوتها بقدر ما كانت انتقاماً، كانت أيضاً لحرمان أهل القرية من المأوى وإجبارهم على الخروج منها. وكذلك الأمر بالنسبة لتوثيقي أعلاه كل ما استطعت الوصول إليه من معلومات حول "بير الغارب" الذي ألقى جنود الإمبراطورية جثث الشهداء فيه بحسب رواية السيد محمد إبراهيم عن جدته. وعلى الأرجح كانت عملية إلقاء جثث الشهداء في البئر الرئيسي للقرية بقصد تلوث مياه البئر وجعلها غير صالحة للشرب دفعاً لأهالي القرية إلى تركها بحرمانهم من مصدر المياه الرئيسي، الذي كانت تشرب منه كل عائلات القرية بحسب ما ورد أعلاه.



"NOT SO MUCH OF THE BLOOMIN' DELILAR BIZNESS  
WITH OUR RASHUNS, HALBERT!"

مرئية رقم (32): كاريكاتور في المجلة الرسمية لفرقة الأنزاك (15 أيار 1918)  
يصور تحريض الجنود بالنساء العربيات في فلسطين، المكتبة الوطنية-أستراليا، 1918.<sup>95</sup>

في المقابل، يوجد من أهالي القرية من يرجعون المجازرة كردة فعل انتقامية على مقتل جندي بريطاني أثناء عملية "غزو"، بحسب ما وصفها الحاج يوسف إبراهيم، على المعسكر البريطاني القريب من القرية. لفت انتباхи استخدام الحاج يوسف لمفهوم "غزو" في وصف عملية "سرقة" المعسكر، فالكلمة تؤطر الفعل كغزو للغزاة، وبذلك تمنحه شرعية مضادة للشرعية الاستعمارية التي تجرّم الفعل. فيما الذي يجعل سرقة بلد بأكمله وقتل أهله عملاً شرعياً ويُمنح الجند والقادة الأوسمة والنياشين مكافأة لهم على جريمتهم، بينما يتم اعتبار انتزاع ما يقيم الوأد جريمة عقابها المجازرة؟ يعيد الحاج يوسف بطريقة حديثه إنتاج ثنائية القرصان والإمبراطور المعبرة عن اختلال موازين العدالة في العالم. يقصُّ القديس أوغسطين قصّة قرصان أسره الإسكندر المقدوني، فسألَه كيف تجرؤ على السطو على الناس

في البحار؟ فأجابه القرصان: عندما يكون لديك سفينة واحدة وتسقط على الناس يسمونك سارقاً، وأنت تسطو على الناس بأسطول فيسمونك إمبراطوراً.<sup>٩٦</sup>

في المحصلة، وبالاستناد إلى روايات أهالي صرفند الخراب، يمكننا القول إن المجذرة جاءت ضمن سياق ممتدٌ من مقاومة أهالي قرية صرفند الخراب لجنود الإمبراطورية الغزاة، وسنفصل لاحقاً السياق الأوسع لها ضمن الصراع التاريخي للقرية مع المستوطنين الصهاينة في "الكوبيانيات" المجاورة. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه في اعتمادنا على مصادر التاريخ الشفوي، لا ينبغي لنا اختزالها بكونها رواية مضادة للأرشيف الاستعماري أو مصدر آخر للمعرفة التاريخية، وإنما علينا أيضاً النظر إلى هذه الروايات الشفوية كموقع لتشكل المعاني في عملية السرد وإضافة طبقات جديدة من المعاني، والتي لا تخلو منها هذه الروايات، في كل مرة يتم فيها حكاية الحدث لفهم التناقضات والتقطعات مع الأرشيف الاستعماري، على اعتبار أن كتابة التاريخ في الحالة الفلسطينية هي إعادة ترميم للذاكرة وتحيين فاعليتها في الملهمة الفلسطينية المستمرة منذ أكثر من مائة عام، فلا الماضي يمضي ولا مقاومة رعب المجذرة تتوقف.

## 5.5.2 مجزرة صرفند الخراب 1918 في التاريخ والوعي الأنجلو-صهيوني

تشترك المصادر الإمبريالية في عموميتها التي أنت على ذكر المجذرة ضمن تأثيرها كـ"حدث شاذ" في الحملة على فلسطين، ولطخة سوداء في سجل أبيض لهذه الحملة. في الحقيقة، فإن المجذرة جزء أصيل من العنف الإمبريالي الذي رافق هذه الحملة على أرض فلسطين. هذا العنف الذي جرت عملية منظمة للتعنيف على حוואته، وكان هذا التعنيف مضاعفاً في فلسطين بما يتجاوز عادة السلطة الاستعمارية بإخفاء جرائمها، وذلك لأن الحملة على فلسطين كانت منذ البداية حملة عسكرية ذات هدف دعائي وـ"حرباً مقدّسة" لتحرير شعوب المنطقة من الاستبداد والتخلُّف التركي، ومن ثم إدخالها في حضن الإمبريالية الدافع والحضاري.

يورد الباحث إدوارد وودفين جملة من الاقتباسات من مصادر أُولية اعتمد عليها الكاتب لوصف الحياة اليومية لجنود الإمبراطورية في الحرب العظمى في فلسطين، وما يهمنا منها طبيعة العلاقة مع أهل البلاد التي تُظهر انهم أكثروا جنود الإمبراطورية في ممارسات تنكيلية يومية تعبّر عن سلوك عام من الجنود ضدّ أهل البلاد الفلاحين والبدو: اعتداءات جسدية، وإهانات وتحرّش بالنساء والاعتداء عليهم، وسطو منظم على المحاصيل والماشية وكل ما يمكن وصول اليه، إلى درجة خلع أبواب البيوت لاستخدامها في غلي الشاي، والأهم من ذلك كله ممارسة عمليات التهجير المنظمة للتجمعات السكانية بما يتلاءم مع تطورات العمليات العسكرية، وترحيل أهلها بالقوة وفي شاحنات الجيش. في ختام سرده لمحتوى رسائل الجنود يعلق وودفين: "ليس من الصعب تصوّر بذور الحقد تجاه بريطانيا التي زرعتها هذه الممارسات والتي ستستمر حنظلاً مراً خلال فترة الانتداب بعد الحرب".<sup>97a</sup>

وما أقصده بالرواية الأنجلو-صهيونية للمجزرة، هو مجموع المصادر الأُولية والثانوية الأسترالية والنيوزيلندية والبريطانية والصهيونية، وتشمل مصادر الرواية الإمبريالية المصادر الأُولية التالية: يوميات جهاز الشرطة العسكرية في القسم المصري للقوات الإمبريالية الأسترالية، ومحضر لجنة التحقيق في مقتل الجندي لوري، وتسجيل مقابلات شفوية ومذكرات الجنود، وكتابات التاريخ العسكري الرسمي الأسترالية والبريطانية للحملة على فلسطين في الحرب العظمى.

وأما المصادر الثانوية، فتشمل: مراجعة الأدبيات والكتابات والدراسات البحثية التي تعرّضت للحادثة. وتتمّ في عموم هذه المصادر، الأُولية والثانوية، الإشارة إلى مجزرة صرفند بـ "حادثة صرفند" (Surafend Incident) أو "قضية صرفند" (Surafend Affair). وتستخدم هذه المصادر والأدبيات اسم (Surafend) للقرية بحسب ما أثبتته خريطة صندوق اكتشاف فلسطين (Khurbet Surafend) (1870)، هذه الخرائط التي تمّ اعتمادها في العمليات العسكرية للحملة على فلسطين، واستُخدمت أساساً للخرائط

العسكرية البريطانية، قبل أن يتم تغيير الترجمة إلى (Sarafand) في الخريط كما يظهر لاحقاً في مسوحات الفترة الانتدابية. وهذا بيانها:

أولاً، تُعرَّف يوميات جهاز الشرطة العسكرية الأسترالية المنطقه التي تعسَّر فيها القوات، والتي وقعت فيها المجزرة، بأنها "قطاع ريشون" أي مستعمرة "ريشون لتسیون"، وتورد ما يلي: في العاشر من كانون الأول 1918، الساعة الثامنة والنصف صباحاً، تم الإبلاغ عن إطلاق النار على جندي نيوزيلندي من قبل رجل يُشتبه في كونه بدويًا. وعلى الفور، تم البدء بالتحقيق. وفي الساعة الثامنة والنصف مساءً، تم استقبال محادثة من مكتب قيادة الفرقه النيوزيلندية تفيد بأن قرية صرفند تشتعل فيها النيران، وعلى إثرها توجّهت قوات الشرطة العسكرية للقرية للتحقيق في الأمر.

ويُفيد تقرير الشرطة العسكرية أنه تم استقبال تقرير، الساعة الثامنة والنصف صباحاً من يوم العاشر من كانون الأول 1918، يُفيد بمقتل الجندي لوري، وتم على الفور التوجّه إلى معسكر سرب الرشاشات الآلية النيوزيلندية الأول، حيث وقعت حادثة القتل. وحسبما يورد التقرير، تعقبت القوات آثار الأقدام باتجاه قرية صرفند إلى أن اخْتَفت على بعد 90 متراً من مساكن القرية. ومن ثم يُفيد التقرير بأن قائد القوة قرر القيام بعملية تفتيش في القرية بدأ تنفيذها في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، ولم يتم العثور على دليل أو مشتبه له علاقة بالحادثة في القرية، ويدرك ما يلي: "الدليل المادي الوحيد الذي سُلم إلينا كان عقال (شبيه بقطاء الرأس الذي يرتديه البدو)، والذي سلمنا إياه أحد زملاء القتيل وعثر عليه في موقع الحادثة". كما يذكر سجل اليوميات بأن التحقيق في مقتل الجندي ليسلي لوري و"حادثة حرق قرية صرفند" استمر إلى اليوم التالي. أما التقرير الذي تمت كتابته في يوم حدوث المجزرة، فجاء فيه:

"تم التبليغ بأن النيران تشتعل في قرية صرفند، وعند وصولي كانت قوات من الخيالة

النيوزيلندية والأسترالية وآخرين تقوم بأعمال الدورية على تخوم القرية، وكذلك كانت النيران تشتعل في مخيم البدو جنوبي 'ريشون'، ولكنني لم أشاهد أي جندي يرتكب أي مخالفة لأقوم باعتقاله، ومن ثم قمت بتوجيه الأوامر لجميع الجنود في المكان بالغادرة. ولاحظت أن بعض الجنود كانوا مسلحين، بعضهم بالبنادق والبعض الآخر بمسدسات الطواحين وأخرين بالهراوات، ووُجِدَت ثلاثة جثث وأثنين من الجرحى. أما في القرية، فكانت هناك خمس جثث ومثلهم جرحى، ولم أشاهد أية علامات عنف على النساء والأطفال الذين كانوا محتجزين في مجموعات. وفي جولة التفتيش الأخيرة، تم العثور على جثث عشرة قتلى بالإضافة إلى سبعة جرحى.<sup>98</sup>

وفي 16 كانون الأول 1918، أي بعد ستة أيام على المجازرة، تفَقَّد القائد العام (اللنبي) فرقـة "الأنزاك" وألقى خطاباً توبـيـخـياً قصـيراً على مسامـعـها. وفي اليوم التالي، بدأـت فـرقـة "الأنزاك" استعدادـها للتحـرك نحو رـفـح، وتمـ تـشـدـيدـ الحرـاسـةـ على مـخـمـرـةـ "ريـشـونـ"ـ وـعدـمـ السـماـحـ لأـيـ منـ الجـنـودـ بـالـاقـتـارـابـ مـنـهـاـ،ـ وـمـنـ ثـمـ بدـأـتـ قـوـاتـ "الأـنـزـاكـ"ـ المسـيرـ نحو رـفـحـ فيـ الـيـوـمـ التـالـيـ.

ثانيـاًـ،ـ مـحـضـرـ جـلـسـةـ التـحـقـيقـ الذـيـ عـقـدـهـ مـقـرـ قـيـادـةـ السـرـبـ الأولـ لـلـمـدـافـعـ الرـشاـشـةـ الـنيـوزـيلـندـيـ فيـ "ريـشـونـ"ـ،ـ لـغـرـضـ التـحـقـيقـ فيـ مـلـبسـاتـ مـقـتـلـ الجـنـديـ فيـ السـرـبـ ليـسـليـ لـورـيـ.ـ يـحـتـويـ المـحـضـرـ عـلـىـ شـهـادـةـ ثـلـاثـةـ جـنـودـ مـنـ السـرـبـ الذـيـ قـالـواـ إـنـهـ سـمعـواـ صـوتـ جـلـبـةـ وـعـرـاـكـ حـوـالـيـ السـاعـةـ الـواـحـدـةـ وـالـنـصـفـ بـعـدـ مـنـتـصـفـ لـيلـ 10ـ كـانـونـ الـأـولـ،ـ وـصـوتـ يـُخـيـلـ إـلـيـهـمـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـمـنـ ثـمـ صـوتـ طـلـقـ نـارـيـ مـنـ مـسـدـسـ تـبـعـهـ صـوتـ يـصـيـحـ طـلـباـ لـلـنـجـدـةـ.ـ بـعـدـهـاـ تـمـ العـثـورـ عـلـىـ جـنـديـ لـورـيـ مـلـقـىـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـمـصـابـاـ بـطـلـقـ نـارـيـ فـيـ الصـدـرـ.ـ أـمـاـ التـقـرـيرـ الطـبـيـ لـتـشـرـيـحـ الجـثـةـ،ـ فـيـشـيرـ إـلـىـ مـقـتـلـ لـورـيـ بـطـلـقـ نـارـيـ فـيـ الصـدـرـ نـجـعـهـ نـزـيفـ،ـ وـأـنـ الطـلـقـ النـارـيـ أـطـلـقـ مـنـ مـسـدـسـ طـاحـونـةـ عـيـارـ 0.45ـ مـنـ نوعـ "كـولـتـ"ـ (colt).ـ وـتـشـيرـ بـقـيـةـ الشـهـادـاتـ مـنـ أـفـرـادـ الشـرـطـةـ الـعـسـكـرـيـةـ إـلـىـ أـنـ الـظـلـامـ الشـدـيدـ مـنـعـهـمـ مـنـ تـتـبـعـ آثارـ أـقـدـامـ القـاتـلـ لـيـلـاـ.ـ وـفـيـ الصـبـاحـ التـالـيـ،ـ فـيـ حـوـالـيـ السـاعـةـ السـادـسـةـ وـالـنـصـفـ صـبـاحـاـ،ـ اـسـتـؤـنـفـتـ

عملية البحث وأمكن تتبع آثار الأقدام المتجهة نحو الشمال الشرقي للقرية، وأيضاً تمت ملاحظة وجود العديد من متعلقات الجنود كالحقائب، والتي تم تفتيشها والعبث بها في خيام أخرى في المعسكر، وتَمَّ أيضاً ملاحظة حركة نزوح من القرية صباحاً باتجاه الغرب وجنوباً باتجاه بئر سالم.<sup>99</sup>

ثالثاً، يحتوي موقع مركز دراسات تاريخ سلاح الخيالة الأسترالية الخفيفة (Australian Light Horse Studies Centre) على شهادات 16 جندياً أسترالياً ونيوزيلندياً حول الحادثة، ويمكن إجمالها بالتالي: بلغ عدد ضحايا المجزرة 38 [شهيداً] من القرية ومخييم البدو المجاور (عرب لشبون في توصيف أهل صرفند الخراب، نسبة إلى مستعمرة الألماني "شبون" في بئر سالم). كانت القرية تُعتبر مصدراً دائماً للسرقة من المعسكر، وشارك في المجزرة جنود أستراليون ونيوزيلنديون، بالإضافة إلى جنود من كتيبة المدفعية الإنجليزية. تم إبعاد النساء والأطفال، ومن ثم بدأ الجنود بضرب الرجال وحرق القرية والمخييم. أما الملام، وفقاً لما أشار إليه الجنود، فكانت القيادة البريطانية التي كانت تتساهل مع جرائم الـ"بيتيفز" (الأصلانيين)، ولو أنها عاملتهم بحزم لما وصلت الأمور إلى التراجيديا التي حصلت.

وبعد مقتل لوري، فرض طوق على قرية صرفند لمنع الجاني من الهرب، وذلك في انتظار أن تقوم سلطات القيادة باتخاذ الإجراءات بحق الجناة، ولكن لم يتم اتخاذ أي إجراء. بعد ذلك، طالبت قيادة الجيش برفع الطوق، وحاول اللواء شيتور، قائد فرقة خيالة "الأتزاك"، منع هذا الإجراء. وبعد رفع الطوق، شوهد الكثير من أهالي القرية يغادرونها. وفي المساء، تم عقد اجتماع سري في مقر كتيبة المدفعية الإنجليزية، عُرضت فيه تفاصيل خطة الهجوم على صرفند، وتم إعطاء مهلة لرئيس القرية بتسليم القاتل. نحو 30-40 من أهالي القرية ضربوا حتى الموت بأسلحة بيضاء أساساً، والعدد الكبير للقتلى بسبب مقاومة أهل القرية. وتناقل الجنود أخباراً تتحدّث عن عمليات إخصاء لذكور القرية، فضلاً عن رمي البحث في بئرها. بعد

ذلك، تم حرق القرية، وغادرها جنود "الأنزاك" بعد عودة النساء والشيوخ إلى القرية الساعة العاشرة مساءً وبدأ العويل على [الشهداء].

تم تحويل القوات إلى المحكمة، ولكن لم تثبت التهمة ضد أيّ منهم، ولم يستطع أهالي القرية تشخيص أحد من المهاجمين. لم يُدَن أحد، بحسب تقرير لجنة التحقيق في مقر كتبة الخيالة الثانية، وأنكر كل من تم التحقيق معهم المشاركة، بينما أكد جندي نيوزيلندي أن التنظيم المحترف للغارة يوحي بأنه من المستبعد أن يكون الجنود المنبهكين منذ سنوات القتال الطويلة هم من قاموا بهذه الفعلة، وأن الذين قاموا بها "لا بد أنهم عصابة لم تشارك في القتال من قبل، هذا ما أنا متأكد منه من خلال معاينتي لكل هذه القصة".<sup>100</sup>

وفي معرض توضيح الدوافع وراء ما جرى، تقول رواية أخرى إن القوات عانت طوال الحملة من خيانة "المحلين" الذين لم تتم معاقبتهم على أفعالهم، من سرقة وقتل حراس المعسكرات وإخراج جثث القتلى وخلع ملابسهم عنهم، فاجتمعت كل الوحدات في المنطقة وألقى جندي من الخيالة الأسترالية خطبة في المجموع، ومن ثم عرض خطة الهجوم على القرية، مذكراً بكمين قرية عين السير، وهو الكمين الذي وقع خلال الغارة الأولى الفاشلة لاحتلال عمان، بين 27 - 31 آذار 1918، موقعاً 18 قتيلاً بين القوات النيوزيلندية من ضمنهم رائد. وقد اعتُبر في أدبيات "الأنزاك" هجوماً غادراً من قبل سكان القرية الذين باغتوا القوة بإطلاق النار عليها أثناء انسحابها بعد أن أشعروا القوة أنهم أصدقاء لها.<sup>101</sup>

بلغ العدد التقديري للقوات التي هاجمت قرية صرفند 200 جندي، في الوقت الذي لم يفض التحقيق الذي أُجري في مستوطنة وادي حنين،<sup>102</sup> حيث مقر قيادة القوات الأسترالية "لرايري"، إلى اتهام أيّ فرد أو وحدة بعينها، وذلك بسبب السرية التي خطط فيها للهجوم وتنفيذه. ويدرك الجنود أنهم لم يواجهوا بعدها أية مشاكل مع العرب.<sup>103</sup>

كما قيل إن الصبايا في منطقة صرفند، ولسنوات بعد ذلك، بَدُونَ بِلَامِحٍ شديدة الاستياء،

فيما اشتهرت صرفند، في حلقات الرجل، بالحِدَّاية الذكور [الرجال]. وأن الجنود "الأزرار" بعد المجازة ذهبا لشراء بعض ثمار البرتقال من قرية مجاورة، ولكنهم عادوا محملين بأكياس من البرتقال دون أن يكلفهم ذلك مليماً واحداً.

وفيما يلي مقتطف من رسالة وجّهها الجندي أمروس موهل<sup>104</sup> إلى السيناتور جورج بيرس، حول "حادثة صرفند"، بتاريخ 19 تموز 1936: "بعد دفن الجندي لوري في صبيحة اليوم التالي الساعة السابعة صباحاً، وصلت القرية، وكانت كتلة من الركام. حيث برؤوس مهشمة، وقامت بعد 137 جثة. المسألة كلها متعلقة بالن يؤوزيلندين. بعد دفن لوري صبيحة يوم الإثنين، أُعطي أهالي صرفند مهلة 10 دقائق لتسليم قاتله، وبعد رفض رئيس القرية تسليم القاتل، تم تجميع النساء والشيوخ والأطفال ممن هم أقل من 16 عاماً على تلة قريبة من القرية، وقد كان الهجوم على القرية بالأسلحة البيضاء والهراوات.

# Surafend

مرئية رقم (33): رسم كاريكاتوري لمجازرة صرفند مرفق بمقال حول المجازرة

<sup>105</sup> من العام 1933، المكتبة الوطنية-أستراليا، 1933.



مرئية رقم (34): هراوة طراز Mark V المعتمدة لدى جنود "الأنزال" في الحرب العالمية الأولى، متحف الذاكرة الحربية – أستراليا، 1916.<sup>106</sup>

ينقل وودفين عن رسائل الجنود "الأنزال" إلى ذويهم بأن الجنود قرروا الإغارة على القرية لجعلها "عبرة ومثلاً"، ويصفون فيها حال القرية بعد المجزرة بـ"الكافوس الرهيب" وأكdas من الجثث ونساء وأطفال مصابون بالحروق يهيمون على وجوههم بغیر هدی.<sup>107</sup> ويدکر الضابط والصحفي الأسترالي آندره بيترسون الواقعه في كتابه تقارير مرسلة سعيدة<sup>108</sup> في العام 1935، أنه "بعد مقتل جندي نيوزيلندي على يد لص عربي، قام جنود 'الأنزال' بتنظيم 'مجموعة انتقامية'. لقد كانوا مستائين من كونهم يُقتلون ويُسرقون من قبل مجموعة من السكان من المفترض أن يكونوا أصدقاء... فقاموا بالهجوم على القرية، واستعادوا المسروقات، وقاموا بقتل كل رجل في القرية، ومن ثم قاموا بإلقاء الجثث في بئر حتى امتلأت البئر بالجثث وأحرقوا القرية".

## 5.6 إعادة إعمار القرية

يقول السيد محمد حسن إبراهيم من مهجر قرية صرفند الخراب، في روایته المذکورة أعلاه، إن روسيا بعد مفاوضات مع بريطانيا هي من قامت بتقدیم التبرعات لإعادة إعمار القرية. وبينما تورد بعض الروايات بأن أهالي القرية مکثوا خارجها لما يزيد عن الشهرين وثلاثة، فعل الأغلب أن عملية إعادة الإعمار تمت بعد ما يقارب السنین، وذلك بالنظر إلى أن مدرسة القرية تم بناؤها في العام 1920، وأيضاً إلى ما يرد في روایات أخرى لأهالي

القرية بأن بعض سكانها لم يُعد إليها بعد أن رُتب أمره في الأماكن التي غادر إليها بعد المجزرة، بمعنى أن مدة التهجير لم تكن قصيرة. وعلى ما يبدو أن العودة إلى القرية تمت على مرحلتين: في المرحلة الأولى عاد إليها قسم من أهلها وسكنوها قبل إعمارها، والقسم الثاني عاد إليها بعد الإعمار.

أما في الأرشيف الاستعماري، فيظهر بأن وزارة الحرب البريطانية قد قدمت مطالبة مالية<sup>109</sup> إلى الحكومة الأسترالية والنيوزيلندية للمساهمة في تكاليف إعادة إعمار القرية التي تمت إعادة بنائها من قبل الجيش البريطاني في أواخر العام 1920، أي بعد تحول الإدارة العسكرية لفلسطين إلى إدارة مدنية، ووصول هربرت صموئيل كأول "مندوب سام" إلى فلسطين في تموز 1920، وما تبعه من صدور مرسوم نقل ملكية الأرضي في الأول من تشرين الأول 1920.

ويبقى السؤال: لماذا بقيت القرية مهجّرة لمدة تقارب العامين قبل أن تتم إعادة إعمارها؟ فبصرف النظر عن قام بإعمارها، من المنطقي أن تسارع السلطة الاستعمارية إلى إعادة الإعمار أو السماح به اتساقاً بما يحفل به الأرشيف الاستعماري والتاريخ الرسمي للحملة على فلسطين بإدانة المجزرة من قبل القيادة العليا للقوات البريطانية. وهنا يمكننا التخمين بأن قرار إعادة بناء القرية، أو السماح به، كان قراراً طارئاً تمّ ضمن الإجراءات البريطانية لتهيئة الوضع العام بعد الصدامات الأولى مع الصهاينة.

وكما أسلفنا، لم تُكن مجزرة صرفند الخراب هي المجزرة الوحيدة التي ارتكبها جنود الإمبراطورية خلال عملياتهم العسكرية في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى. وبالإضافة إلى التنكيل اليومي بأهل البلاد وتهجيرهم خلال العمليات العسكرية، يُورد المؤرخ العسكري الأسترالي بيل غاميچ<sup>110</sup> ذكر مجزرة وقعت في قرية المجدل قضاء طبرية، في سياق حديثه عن علاقة جنود "الأزراك" بأهل البلاد: "الخيالة الأستراليون كرهوا العرب بشدة، مع أنهم كانوا يحترمون الأتراك، فكان البدو يتوجّلون حول معسكرات الخيالة الأستراليين مثل ابن

آوى يتسلّلون ويسرقون. ومثل قائدتهم راييري (محبّ الصهاينة)، كانوا على قناعة بأنّ قتل [العرب] لا يستحق الذكر، وفي كثير من الأحيان كانوا يغيرون على القوات البريطانية قليلة العدد أو المعزولة، وخلال العمليات العسكرية في سيناء في منطقة الحساسنة، تعرّضت قوة من الجمّالة الأستراليين لإطلاق النار من قبل قناص بدوّي، والذي تمَ لاحقاً القبض عليه واقتياه إلى مكان معزول، ثمُ قُتل بالفؤوس والبنادق. وتُروى حادثة وقعت في قرية مجدل-طبرية في أيلول 1918، حيث جمع أهالي القرية البنادق من مخلفات المعارك وأطلقوا النار على معسّك للبريطانيين في الليل، وفي صباح اليوم التالي قامت مجموعة من الجنود بغارة انتقامية على القرية وأوقفت ستة من رجال القرية في صف بحضور مختار القرية وأعدّتهم رمياً بالرصاص من أجل جعلهم عبرة للسكان المحليين".

لم تُكُن العدائية لأهل البلاد العرب في فلسطين وليدة الاحتِكاكات معهم خلال سير العمليات العسكرية. فخلال تواجد قوات "الأنزاک" في مصر قبيل دخولهم إلى فلسطين، كان التعريف السائد للعرب هو كونهم عرقاً همجياً ومجموعة من المسؤولين، وأعطيت الأوامر بإطلاق النار عليهم لمجرد مضايقتهم للجنود. وتجسّدت هذه العدائية بشكل دموي فيما عرف في التأريخ العسكري لـ"الأنزاک" بـ"معركة الواسعة"، نسبةً إلى منطقة "الواسعة"<sup>111</sup> في حي "كلوت بك" بالأزبكية في القاهرة، بتاريخ 2 نيسان 1915، حيث قام ما يقارب 2500 جندي من "الأنزاک" بحرق وتدمير الحي وقتل العديد من أهالي الحي.

منذ ما يقارب الـ15 عاماً، بدأت الصحافة الأسترالية والنيوزيلندية، وكذلك بعض المؤرخين العسكريين، بفتح ملف مجردة صرفة الخراب ضمن ما يمكن أن نسميه بإعادة النظر في أسطورة "الأنزاک" كأسطورة مؤسّسة للهوية القومية، وضمن ما يمكن تسميته بـ"سياسات الاعتراف"، بما يشبه عمل المؤرخين الجدد الصهاينة في نبش تاريخ المجازر الصهيونية في فلسطين. وبالتالي، فإن الدافع غير المعلن للكثير من هذه المراجعات هو التصالح مع هذا التاريخ من منطلق ضرورة مواجهته، لا دفعه الذي استمر لمائة عام. وهذا لا يعني أنه

يمكننا اختزال هذه المراجعات جميعها ضمن هذا السياق، فبعضها يأتي ضمن نزعة تفكير الأسطoir المؤسسة للقوميات المتأثرة بتيارات ما بعد الحداثة والبنيوية، وبعضها يأتي ضمن سياق نضال أهل أستراليا الأصليين وإعادة كتابة تاريخ أستراليا من مركزية التاريخ الدموي الطويل في إبادة السكان الأصليين في هذا التاريخ، وبعضها يأتي من متضامنين مع القضية الفلسطينية. ومن المهم هنا الإشارة إلى دور وصول أخبار جرائم الحرب التي ارتكبها القوات الأسترالية في أفغانستان خلال احتلالها في العام 2001، كمحفّز لنبيش التاريخ الأسود الطويل لجرائم الحرب التي ارتكبها الجيش الأسترالي، ومن ضمنها مجرزة صرفند الخراب. وهذا لا يعني أيضاً أن هذه المراجعات لم تلق مقاومة عنيفة من قبل التياريات القومية التي رأت فيها خطراً على التاريخ والهوية الأسترالية والنيوزيلندية. إحدى الأعمال المهمة والمؤثرة في هذا السياق هي كتابات الصحافي الأسترالي بول دالي الذي يقدم نقداً للذاكرة الحربية الأسترالية وأسطورة "الأنراك" في عمله التمجيدي لمعركة بئر السبع في ذكرائها الـ 100. يعترف دالي في كتاباته بفظاعة وهمجية مجرزة صرفند الخراب، ويتبّع تفاصيلها في الأرشيف والمذكّرات، ويدين عملية التغطية عليها ومحوها من تاريخ "الأنراك". ويقول إن هذه المجربة جعلته يغيّر نظرته لـ"الأنراك" وهو يلهمث في كتابة تاريخ البطولة المنسية في معركة بئر السبع. ولكن مع كل هذه الحمولة النقدية الجريئة، يعيد دالي تبرير المجربة بالقول إنها ولدت في اصطدام "الأنراك" بالواقع القاسي للحرب في صحراء سيناء بالبدو كمحاربين ولصوص وجوايس، وأن هذا الاصطدام سوف يبقى يغلي ويتراءكم في الصدور ليجد طريقه بعد ستين ونصف لتنفيذته في مجرزة صرفند..<sup>112</sup> عود على بدء!

كما يتم التطرق إلى مجرزة صرفند الخراب في عدد من الدراسات الأكاديمية لمجموعة من الباحثين الأستراليين والنيوزيلنديين التي تبحث في تشكّل الذاكرة القومية وفي الهويات الفرعية والإثنيات في الجيش البريطاني، وأعطي مثالاً على هذه الدراسات الأكاديمية التي أتت على ذكر المجربة بدراسة ميلنز، إذ: ينطق ميلنز<sup>113</sup> في رسالته بأن الجنود النيوزيلنديين الذين شاركوا في مجرزة صرفند الخراب قاموا بفعلتهم هذه بصفتهم جنوداً إمبرياليين يحملون قيم وعقلية الإمبراطورية العنصرية، ورؤيتهم لذاتهم في مهمّة تحضيرية

إمبريالية، أكثر من كون هذه المشاركة تعبيراً عن هويتهم النيوزيلندية. وبالاستناد إلى مصادر أولية، يحدد ميلنر عدد الجنود المشاركين في المجازرة بمائتي جندي، وأنها تمت دون استخدام الأسلحة النارية، ويورد أيضاً رواية لأحد الجنود المشاركين بأنهم قاموا بعملية إخضاء للذكور.<sup>114</sup>

كانت هذه جردة سريعة للمجازرة في المصادر الأولية والكتابات والأبحاث، وجلها تغفل عن قصد أو دون قصد الدور الصهيوني في المجازرة، والذي أحاجج بكونه دوراً رئيسياً كما سأفصل في القسم التالي.

## 5.7 مجازرة صرفند الخراب صهيونياً

كان جنود "الأنزاك" أول الوافدين إلى "نس تسيونا" في 14 تشرين الثاني 1917، واستقبلهم المستوطnen الصهاينة بالترحيب. وبعد معركة عيون قارة، أوكل الإنجليز إلى أحد منتسبي الفيلق العربي مهمة التنسيق مع سكان المستوطنة. وبدأت العلاقة بين جنود الإمبراطورية والمستوطنين تتوطّد بسرعة، واعتبر الصهاينة أن وجود معسكرات "الأنزاك" في عيون قارة سيوقف هجمات العرب على مستوطناتهم، ولذا كانوا حريصين على بناء علاقة متينة مع "الأنزاك" ضمن هذه الاستراتيجية النفعية. فقد أقام مستوطنو "ريشون لتسیون" و"نس تسيونا" نصباً تذكارياً لقتلى "الأنزاك" في معركة عيون قارة، بتاريخ 14 تشرين الثاني 1917.

وفي المقابل، لم يصل جنود "الأنزاك" إلى فلسطين خالين من الهوى الصهيوني، إذ يتبه لوريزرو فيراتشيوني<sup>115</sup> إلى أن الصهيونية كانت أكثر تقدماً في المستوطنات البريطانية المستقلة ذاتياً (مثل أستراليا وكندا) من بريطانيا ذاتها. وفي فترة ما بين الحربين، تعالت الدعوات في هذه المستوطنات لأن تكون فلسطين ذاتها مستوطنة بريطانية (dominion)، وتلقت الحركة الصهيونية دعماً مالياً وسياسياً نسطاً من هذه المستوطنات، ويموضع "فيراتشيوني" التطهير العرقي لقرية صرفند الخراب من قبل "الأنزاك" ضمن هذا السياق.

اتخذ اللواء غرانفيل رايри (Granville Ryrie)، المسيحي الصهيوني، من "نس تسيونا" مقراً لقيادته، وكان يثقّف جنوده وضيّاطه بضرورة عودة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد. وإلى رايري هذا، بحسب ما أورده دالي، تعود بداية التسّرُّ على مذبحه صرفند الخراب من خلال التقرير الذي رفعه للقيادة العليا في نهاية شهر كانون الأول 1918، ومن الواضح أن حرق القرى العربية هاوية استعمارية أثيرة للعين رايري هذا. بعد ما اعتُبر تسرّياً عقابياً لـ"الأنزال" إلى مصر بعد مجزرة صرفند الخراب، تحولت الفرقة إلى القوة الضاربة للإمبراطورية في قمع الثورة المصرية 1919. ويورد غامبيج حادثة<sup>116</sup> أمر فيها رايري بحرق قرية مصرية انتقاماً لمقتل جندي بريطاني. وأما الجنرال شاوفل (Chauvel) القائد الأعلى لفرقة "الأنزال"، فقد اتّخذ من مستعمرة ديران "رحوفوت" مقراً لقيادته في أحد مباني المستوطنة العامة، وفي روايات المستعمرة كان شيفل دائم الحديث أنه وجنوده جاءوا إلى الأرض المقدسة لتحريرها من أجل الشعب المختار.<sup>117</sup>

جاء دخول جنود الإمبراطورية إلى المستعمرات اليهودية في أوج الصراع المحتدم بين هذه المستعمرات وأهل البلاد الذين تكثّفت غزواتهم عليها بسبب حالة العوز والجوع والضيق الشديد التي سبّبتها الحرب وما سبّقها من موسم جفاف، وما رافقها من قضاء الجراد على المحاصيل الزراعية. وهذا بينما كانت المستعمرات الصهيونية مكتنزة بالوفرة، إذ كانت تحظى بالدعم عن طريق المساعدات من الصهاينة في أوروبا، والتي كانت تصل فلسطين عن طريق مؤسسات الإغاثة الأمريكية قبل أن تدخل أمريكا الحرب، وكذلك الإعانات المقدّمة من المؤسسات الداعمة المحلية، إذ قدم بنك "أنجلو فلسطين" الصهيوني (لئومي لاحقاً)<sup>118</sup> القروض والمساعدات الإغاثية، بالإضافة إلى الوجبات واللحصص الأسواعية من الطحين التي كانت تقدمها القنصلية الألمانية، ومساعدات مالية عديدة استفاد منها الآلاف.<sup>119</sup> حظيت "الكونيات" بكل هذه المساعدات، بما يخالف الصورة التي ترسمها الأدبيات التاريخية الصهيونية لحال العسرة الشديدة الذي عانت منه هذه المستعمرات خلال الحرب بعد توقيف صادراتها بسبب الحصار البحري المفروض على الأرضي العثمانية. وذات الوفرة كانت تكتنّ بها معسكرات الجيش البريطاني المتخصّمة بالأغذية،

والتي تحولت هي الأخرى إلى هدف لغزوات الفقراء طلباً لما يسُدُ الرمق وشيئاً فشيئاً طلباً للسلاح. ومما يجدر ذكره أن أسلحة الحرب العالمية المتراكمة في ميادين الحرب الأولى في فلسطين، وما انتزع من معسكرات الجيش البريطاني عنوة، شكلت مصدر التسلیح الأول للثوار الفلسطينيين في ثورة 1936.<sup>120</sup>

لم يقتصر دور المجتمع الاستيطاني الصهيوني على استقبال واستضافة جنود الإمبراطورية الغازية، فبعد حسم النقاشات حول الموقف الأنسب له في دعم القوى المتحاربة، كان المجتمع الاستيطاني شريكاً في الحرب. ومع تأسيس الفيلق العربي في الجيش البريطاني الذي انضم إليه متطوعون كثر من المستعمرات في المناطق التي احتلّها الجيش البريطاني من نهر العوجا حتى سيناء خلال فترة توقف العمليات العسكرية بداية العام 1918 حتى استئنافها، قدم المستوطنون خدماتهم كأدلة للجيش البريطاني ومتجممين من اللغة العربية، وفي إجراء المسح الطوبوغرافي والتجسس على القوات العثمانية والألمانية خلف الخطوط. هذا بالإضافة إلى تقديم تقارير عن المزاج العام لأهل البلاد، والتستر على طلائع الجيش البريطاني. وقد كان لدخول القوات البريطانية إلى فلسطين أثر معنوي كبير على المستوطنيين الذين أحسوا بالأثر المعنوي لقوة عسكرية عظمى حلقة تجوب البلاد.<sup>121</sup> وبعد احتلال القدس، سرت حالة من الهيجان في المجتمع الاستيطاني تحولت إلى اندفاعات بضروره إظهار القوة لأهل البلاد ومن ثم التوسيع الاستيطاني والانتقام من هجمات العرب، والتي كان آخرها هجوم البدو والقرويين على بيوت "تل أبيب" الفارغة ونهبها بعد ترحيل مستوطنيها من قبل الجيش العثماني خلال الحرب، وشنق اثنين من اليهود بسبب وقوفهم أمام عمليات النهب عبرة للآخرين كما يروي موريس.<sup>122</sup>

جاءت مجردة صرفند الخراب والدور الصهيوني فيها ضمن سياق هذه العلاقة الأيديولوجية والعسكرية، وبعد التحولات التي مرّت بها المستوطنات الصهيونية، والتي وصلت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى مرحلة فرضت فيها المسألة العربية حضورها في الأدبيات الصهيونية مع صعود التيار الاشتراكي في "البيشوف" واحتلال العمل بموازاة

فشل استراتيجية التثاقف والاندماج، خاصة في مسألة الحراسة والتي كان عنوانها استلام "الحارس الشاب" لمهام الحراسة، بعد تكثُّف حدة الصراع مع المستوطنين على خطوط التماس مع المستوطنات قبيل الحرب، والتي زادت خلالها بسبب حالة العوز والضيق المذكورة أعلاه. في هذا السياق العام، كانت قرية صرفند الخراب في عين العاصفة، فقد كانت بالنسبة للمستوطنين (الاتحاد مستوطنات يهودا) جيباً غريباً ومعادياً مزروعاً في وسطها. وكان إعلان وعد بلفور، ومن ثم "تحريرها" من قبل الغزاة، دافعاً للإعلان عن التحول الفعلي نحو حل المسألة العربية بالقوة بالتزامن مع تداول نشط حول خيار الترانسفير للفلاحين في المناطق الساحلية تحديداً، حيث الكتلة الاستيطانية الأكبر وتركز قيادة اليישوف فيها. وهنا يمكننا موضع الإشارة في صحيفة البلاغ إلى دور "إبراهام بلومفيلد - أبو يونس" صاحب نظرية فهم العرب كوسيلة للأمن، بعد فسخ عقد الحراسة معه في مستوطنة "روحوفوت" والتعاقد مع "الحارس الجديد"، صاحب النظرية الحازمة في التعامل مع العرب كما سيأتي تفصيله.

كل ذلك في الوقت الذي اعتبر فيه الصهاينة أن قيادة الإدارة العسكرية لـ"إدارة أراضي العدو المحتلة (OETA-SOUTH)، التي أسسها "النبي" في نيسان 1918، لا تلتزم وبعد بلفور كمبدأ ناظم لعملها في فلسطين، هذا بالإضافة إلى ما رأته الحركة الصهيونية من تعاطف بين قيادتها اتجاه عرب فلسطين، وإن كان مرد هذا التعاطف رغبة هؤلاء الضباط بالحفاظ على الهدوء في فلسطين في وقت لا زالت فيه العمليات العسكرية مستمرة في مجتمع منهك يحتوي كل أسباب الانفجار. فقد اعتبروا أن الماضي قدماً في "صهينة فلسطين" الآن سيؤدي إلى انتفاضة عربية<sup>123</sup> يمكن أن تشَّكل خطراً على الإمبراطورية يتعدَّى حدود فلسطين. لم يكن دافع الثاني البريطاني في صهينة فلسطين تعاطفاً أو نظرة إيجابية لعرب فلسطين، كما أدَّت القيادة الصهيونية. فقد كان الاتجاه السائد في الجيش الإمبراطوري هو النظرة العنصرية الكارهة للعرب في فلسطين. وبهذا يمكننا القول إن القيادة الصهيونية شعرت بالإحباط من بطء تقدُّم عمليات الهجرة والاستيطان مع تزايد عدائية العرب في فلسطين للصهيونية بعد صدور وعد

بلغور، ويمكننا هنا موضعه العمل الصهيوني لاستغلال العلاقة مع جنود الإمبراطورية على المستوى المناطقي لتنفيذ أعمال عدائية ضدّ العرب، كما حدث في مجرزة صرفند الخراب. كما يمكننا فهم تعطية القيادة البريطانية وكتبها أخبار المجزرة لاعتبارات أمنية، وأيضاً خشية أن تؤدي إلى حالة غليان في المنطقة، خاصة في ظلّ الموجة الثورية التي عمّت مستعمرات الإمبراطورية في المنطقة والعالم ما بعد الحرب العظمى.

بقيت مجرزة صرفند الخراب مهملاً في الكتابة التاريخية البحثية الصهيونية النشطة ذات الطابع التفصيلي للحرب العالمية الأولى، ويتبين بأنّ هذا الإهمال مردُّ العلاقة الوثيقة بين عملية التاريخ النشطة لهذه الحرب صهيونياً والدبلوماسية الدعائية الصهيونية التي تستثمر تاريخ الحرب العظيم وذكرياتها وأحداثها في بناء تحالفات وتدعمها، خاصة مع الأستراليين والنيوزيلنديين والهنود، إذ يمثل "الأزراك" الفتنة الأكثر حضوراً في سياسات التخليل الصهيونية للحرب. ومع ذلك، تحضر مجرزة صرفند الخراب كشذرات في مذكرات جنود الفيلق اليهودي والمستوطنين المحليين بالقرية، كما يتضح في الشواهد التالية.

في كتابه جنود يهودا، يقول رومان فريوليخت،<sup>124</sup> من الفيلق العربي، إنه بعد عدّة أشهر من مجرزة صرفند الخراب (10 كانون الأول 1918)، تعرض جندي أرجنتيني من الفيلق اليهودي لهجوم من قبل بعض البدو وهو في طريق عودته من مستعمرة "ريشون لتسیون" إلى معسكر الفيلق في صرفند. وبعد أن استطاع الإفلات من المهاجمين والوصول إلى المعسكر بعد إصابته، اجتمع جنود الفيلق ليلاً، واقترب أحدّهم، الحاقد بشدة على بدو المنطقة، القيام بعملية انتقامية باستخدام "الطريقة الأسترالية" (مجزرة صرفند الخراب) لتأديب البدو. أيدن جميع الحضور ما الذي كان يدور في خلده، وقرروا بعد التصويت القيام بعملية انتقامية فجراً ضدّ تجمع البدو مسلحين بالحراب. وما أن وصلوا مخيّم البدو حتى انفتحت أبواب الجحيم، فانهالوا ضرباً على كل الرجال، فيما هربت النسوة بأطفالهنّ، ومن ثم مزقوا الخيام وحطّموا كل محتوياتها. وفي تلك الليلة، نزح البدو، لتصبح الطريق بين "ريشون" وصرفند "آمنة منذ ذلك اليوم".

هذه أول حادثة مؤثرة لتحول مذبحة صرفند الخراب إلى نموذج عمل للقتل والتهجير الصهيوني في التعامل مع التجمعات السكانية الفلسطينية. وليس من المستبعد أن تكون مجرزة صرفند الخراب هي التجربة الحية التي انبثقت منها نظرية الجدار الحديدي لجابوتينسكي، قائد الفيلق اليهودي المعسّر على أطراف القرية حينها، وربما المشارك أيضاً في المجربة، بحسب ما ورد أعلاه في شهادة أحد جنود "الأنراك" باعتقاده أن من قام بالمجربة كانت مجموعة لم تشتراك في القتال الفعلي خلال الحملة على فلسطين، والمجموعة الوحيدة التي ينطبق عليها هذا التوصيف هي الفيلق اليهودي. وكما سرى لاحقاً، سيتكرر استدعاء "نموذج صرفند الخراب" في تهديد قرية صرفند الخراب ذاتها خلال ثورة 1936.

وفي الكتب التذكارية للمستعمرات الصهيونية المقامة على أرض فلسطين ما قبل النكبة، عادة ما يتمُّ استدخال تاريخ القرية العربية التي أقيمت على أراضيها هذه المستعمرات وتحوّيلها إلى جزء من الرواية الصهيونية المحدثة للمكان، ومن ضمنها أحداث الحرب العظمى في المستوطنة وما حولها، بصفة هذه الأحداث علامة فارقة في السردية الصهيونية لفلسطين. في هذه الأدبيات تصير الأحداث المتعلقة بالقرى الفلسطينية تقع داخل الرواية الصهيونية لفلسطين لا خارجها، وفي حالة صرفند الخراب تتعدّى المسألة التدوين التاريخي والسردية إلى تكوين الشخصية العسكرية الصهيونية وتحولاتها. وهنا، لا بدّ لنا من الحديث بشيء من التفصيل حول الجغرافيا الاستيطانية لصرفند الخراب باعتبارها مقدمة ضرورية لموضوعة الرواية الصهيونية في سياقها الاستيطاني التاريخي لفهم وتحليل الدور الصهيوني في المجربة.

## 5. صرفند الخراب المحاصرة

منذ العام 1880، بدأت كتلة استيطانية بالتشكل في السهل الساحلي الفلسطيني الأوسط، في ريف الرملة، والتي أطلق عليه الصهاينة اسم "يهودا". وعشية الحرب العالمية الأولى، كانت صرفند الخراب محاصرة بالمستعمرات من جهاتها الأربع، عيون قارة شمالاً

(ريشون لتسيون) إلى ديران (رحوفوت) جنوباً وخربة بيار الليمون (بئر يعقوب) شرقاً وغرباً وادي حنين (نس تسيونا). وحظيت هذه المستعمرات بدعم مالي من البارون روتشيلد، واستفادت من الخبرة التقنية المستقاة من تجربة المستعمرات الزراعية في الجزائر، خاصةً في مجال زراعة الكرمة لصناعة النبيذ.<sup>125</sup> ولكنها تمَّرت لاحقاً على سلطة روتشيلد، لتقوم اقتصادياتها على الإنتاج الزراعي المعد أساساً لتصدير الحمضيات والخمور واللوز. كانت هذه المستعمرات رأسمالية الطابع شرهة إلى العمالة الرخيصة لل فلاحين الفلسطينيين، الذين شُرد الكثير منهم من أراضيهم بعد أن انتقلت ملكيتها إلى المستوطنين عبر صفقات مع كبار المالك أساساً، وكانت العلاقة بين القرى الفلسطينية وما جاورها من كُوبيانيات علاقه استغلال مرَّكة، استغلال اقتصادي ومعاملة لم تخل من القسوة في كثير من الأحيان، إذ كان على الفلاح تقبُّل العنف الناتج عن نكرانه جميل تشغيله في المستعمرات، وفي الوقت ذاته عمل المستوطنون على تعليف هذا الاستغلال المزدوج بعلاقة اجتماعية "ودية" مع القرى.

يدرك أحد مستوطني عيون قارة (ريشون لتسيون) في إحدى رسائله بأن قرية صرفند الخراب، الواقعة جنوب المستوطنة، كانت عبارة عن أطلال قبل نشوء المستوطنات الصهيونية حولها في نهاية القرن التاسع عشر، وأنها أصبحت قرية كبيرة ومزدهرة بسبب الكثير من أهل القرية الذين هجروها مسبقاً وقد عادوا إليها نتيجة توفر العمل للجميع، رجالاً وذكوراً وكباراً وصغاراً، في المستعمرات.<sup>126</sup> ويأتي ذكر قرية صرفند الخراب في الأدبيات الصهيونية كأحد الأمثلة على القرى التي صنف سكانها بأنهم غير أصليين، وإنما "هجaron غير شرعين" قدموا إلى فلسطين للعمل واستقروا فيها.<sup>127</sup> كما يشير الكتاب التذكاري التاريخي لـ"نس تسيونا" "مدينة في قلب موشافاً" إلى أن العرب ليسوا سكاناً أصليين في المنطقة<sup>128</sup>، ولا ينت�ون إلى الكعناعيين ولا الفلستينيين، وإنما استقروا فيها عبر سلسلة من الهجرات من خارج فلسطين ابتداءً من الفتح الإسلامي وصلاح الدين مروءاً بالحكمين العثماني والمصري، وأنهم مارسوا قطع الطريق على الشارع الرئيسي، كما يحمل أهلها المسؤولية عن قتل المستوطن الأول أبراهم ليفסקי في وادي حنين في العام 1887.

ومنذ تأسيس "ريشون لتسیون"، اعتبرت مصادر البدو المجاورة وقرية صرفند الخراب مصدرًا دائمًا للتهديد، مع بدء الصراعات المبكرة مع رعاة المواشي والأغنام، واحترافهم حدود أراضي المستعمرة، والتهديد الدائم للطريق الواسع بين (ريشون لتسیون-نس تیسیون-روحفوت)، ومن ثم حرص الاستراتيجية الاستيطانية على خلق تواصل جغرافي بين هذه المستعمرات. وبالنظر إلى هذه الاعتبارات كلها، حددت لجنة مستعمرة "ريشون لتسیون" الأراضي الخصبة لقرية صرفند الخراب، إلى الجنوب منها، كهدف رئيس للتوزع الاستيطاني، وأرجعوا ما أسموه أعمال السرقة والتعدّي على أراضي المستعمرة الناتجة عن هذا التوسيع الاستيطاني إلى تفسير نفسي، فقد كانوا يعتقدون أن بيوت المستعمرة البيضاء المرفهة وحظائر ماشيتها ومخازنها العاملة تثير الحسد في نفوس الفلاحين الفقراء.<sup>129</sup> يُطلق الباحث الصهيوني كارليناسكي على هذا الجزء من الساحل الفلسطيني "الساحل الرأسمالي"، حيث كانت 75% من الأراضي المزروعة بالحمضيات ملكيات خاصة.<sup>130</sup> وقد كانت المستعمرات المقامة في هذا الساحل قائمة في بدايتها على الملكية الخاصة الفردية ونهمة للعمالة الرخيصة للفلاحين الفلسطينيين، وكان دافعها الربح أساساً أكثر من الدافع الأيديولوجي، ومن ثم تحولت هذه المستعمرات إلى موقع للصراع بين الجيل الأول منها (1880-1904) والقادمين الجدد في الهجرات الاستيطانية التالية التي أسمت بالطابع الأيديولوجي (الصهيونية الاشتراكية والطلائعية). وكانت بؤرة هذا الصراع تدور حول "عربنة العمل"، سواء في العمل الزراعي أو في قطاع الأمن والحراسة. فقد طالب المستوطnen العماليون (مستوطنو الهجرة الثانية 1904-1914 بحسب التاريخ الصهيوني) أن يتم تشغيل الأيدي العاملة الصهيونية حصراً في الاقتصاد، حتى لو كانت أجورها تصل إلى ما يقارب ضعفاً ونصف ضعف ما يتتقاضاه العامل الفلسطياني في ظروف تشغيلية مرنّة (العمالة الموسمية والمياومة والتي تحدد إيقاعها مواسم القطاف والعناية بالأرض بما يتناسب مع احتياجات العمل الزراعي الموسمي).<sup>131</sup> هذا مع الإشارة إلى أن العديد من الفلاحين الذين كانوا يعملون بالمزارعة وتضمين الأرض قد واصلوا العمل على الأرض ذاتها بعد بيعها من الإقطاعيين العرب والفلسطينيين للصهاينة. كان تشغيل العمالة الفلسطينية يعني عند الجيل الجديد نقلاً للروح الصهيونية التي جاءت إلى فلسطين لتبنّيها وتبني ذاتها فيها. وقد نشب الحرب العالمية الأولى في أوج الصراع حول عربنة العمل في

داخل الكوبيات الصهيونية والتورات والمناوشات مع الفلاحين الفلسطينيين في القرى المجاورة لها، والتي كانت تدور حول ملكية الأرض. وفي العام 1914، قام أحد أهالي صرفند الخراب، والذي تسمّيه المصادر الصهيونية بـ"أبو علي"<sup>132</sup>، باغتيال زبيغر (وعلى الأرجح المقصود أرييه زبيغر رئيس لجنة مستعمرة "ريشون لتسیون") انتقاماً لشرائه مساحة كبيرة من أراضي صرفند الخراب. وتذكر المصادر ذاتها أن أبو علي كان يعمل مسؤولاً عن حراسة كروم "ريشون لتسیون" بين 1912-1913 قبل فصله وعبرنة العمل في الحراسة. وقد رافق هذا الصراع على الأرض إغارات مستمرة من قبل الفلاحين والبدو على المزارع الصهيونية في الكوبيات، هذه المناوشات التي وصلت في وقت مبكر إلى الصدام الدموي.<sup>133</sup>

بلغت مساحة القرية قبيل النكبة في العام 1945، بحسب إحصائيات القرى لسامي الهداوي، 5503 دونمات، بينما تشير سجلات الأراضي إلى أن المساحة الإجمالية لأحواضها الـ 15 بلغت 10050 دونمًاً. ما يعني أن الصهاينة كانوا قد نجحوا في استملاك نصف أراضي القرية على الأقل<sup>134</sup>، والتي تحولت ملكيتها إلى المستعمرات المجاورة (وادي حنين وعيون قارة أساساً) وخرجت بذلك من ملكيات القرية. ونتيجة لتصنيف معظم أراضي القرية كـ"أراضي ميري"، أي أن الاحتفاظ بملكيتها مشروط بزراعتها، لم يكن في كثير من الأحيان أمام قرويًّا صرفند سوى بيع جزء من أرضهم من أجل الحفاظ على الجزء الآخر.<sup>135</sup> وقد خاضت قرية صرفند الخراب صراعاً طويلاً مع المستعمرات المجاورة لها متمحوراً حول الأرض، والتي يمكننا أن نراه في مجزرتها عام 1918 باعتبارها أحد فصول هذا الصراع، وذلك بسبب موقع القرية الاستراتيجي المسيطر على الطريق ما بين مستعمرة عيون قارة والطرف الجنوبي الأقصى لكتلة الاستيطانية مستعمرة رحوفوت (ديران)، وعلى الطريق ما بين مستوطنة وادي حنين و"بئر يعقوب" على المحور الشرقي الغربي.

وبحسب أفرن كهانوف، مسؤول الأمن في مستعمرة "نس تسيونا" ومن جيل مستعمرتها الأول، شكلت قرية صرفند الخراب حاجزاً يمنع تطور المستعمرة باتجاه الشمال والشرق لي تصل حدودها المستعمرة الكبرى الجنوبية عيون قارة وجناح "نس تسيونا" الشرقي

ومستعمرة "بئر يعقوب". هذا الحقد الصهيوني الناشئ من الصراع على الأرض بدأ مع صرفند الخراب منذ بداية الاستيطان<sup>136</sup> ونشأة المستوطنة الأولى في العام 1884، حيث قام مؤسسها البولندي روبن لير<sup>137</sup> بتبديل ممتلكاته في روسيا مقابل أراضٍ تملّكها المستوطن الروسي من أصول ألمانية جوستاف رسيلر في وادي حنين، وهي بزيارة تبلغ مساحتها ألفي دونم من أراضي صرفند الخراب، حينما قرر المستوطن الهيكلي رسيلر مغادرة فلسطين بعد أن فتك المalaria بـ 12 مستوطناً من ضمنهم اثنين من أولاده. وبعد وصول روبن لير إلى وادي حنين، نشب صراع بين المستوطنين الجدد وأهالي صرفند الخراب، ورفع الأهالي دعوى استعادوا بعدها ملكية 572 دونماً من الأرض، وقد شَكَّلَ هذا الصراع الأول حدثاً مؤسِّساً في العلاقة بين القرية وال Kovānia.<sup>138</sup>

وبالعودـة إلى مجـرة صـرفـنـدـ الخـرابـ، فـبحـسبـ كـهـانـوفـ كانـ مـعـسـكـرـ "ـالـأـنـزـاكـ"ـ يـمـتـذـ على طـولـ سـكـةـ الـحـدـيدـ الـعـمـانـيـ شـرقـيـ صـرفـنـدـ الخـرابـ، وـاعـتـادـ أـهـلـ القرـيـةـ الإـغـارـةـ عـلـىـ مـعـسـكـرـ الأـسـتـرـالـيـيـنـ، الـذـيـ حـوـىـ مـرـكـزـ التـمـوـينـ لـلـقـوـاتـ الـأـسـتـرـالـيـةـ. وـفـيـ إـحدـىـ الـلـيـالـيـ، شـاهـدـ الـحـارـسـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـلـصـوصـ وـرـكـضـ نـحـوـهـمـ وـتـعـارـكـ مـعـهـمـ وـقـامـواـ بـطـعـنـهـ بـالـشـبـرـيـةـ بـيـنـ ضـلـوعـهـ. وـبـعـدـ أـنـ وـجـدـ الـجـنـودـ الـأـسـتـرـالـيـوـنـ زـمـيلـهـمـ غـارـاًـ فـيـ دـمـهـ، قـامـواـ بـتـتـبـعـ آـثـارـ الـمـهـاجـمـيـنـ الـتـيـ أـوـصـلـتـهـمـ إـلـىـ قـرـيـةـ صـرفـنـدـ الخـرابـ، فـقـامـواـ بـتـطـوـيقـ القرـيـةـ وـمـنـحـ الـمـخـتـارـ مـهـلـةـ 24ـ سـاعـةـ لـتـسـلـيمـ الـجـنـاهـ. ثـمـ قـامـتـ فـرـقـةـ أـسـتـرـالـيـةـ بـاجـتـياـحـ القرـيـةـ، وـتـجـمـيـعـ النـسـاءـ وـالـأـطـفـالـ وـكـبارـ السـنـ فيـ بـيـارـةـ رـتـنـرـ (ـRـe~n~d~er~)ـ فـيـ "ـN~s~ T~s~i~o~n~a~"ـ، وـمـنـ ثـمـ أـضـرـمـواـ الـنـيـرـانـ فـيـ القرـيـةـ وـدـمـرـوهـاـ، وـقـتـلـ الـكـثـيرـ مـنـ أـهـالـيـ القرـيـةـ.

وفي مذكرة عن العمليات التي تعرضت لها "نس تسيونا" خلال ثورة 1936، يروي كهانوف حادثة مقتل مستوطنة بعد أيام من مقتل مستوطن في كمائن على طريق المستوطنة، والتي ينسبها إلى فصيل علي بدر "الدموي"، بحسب تعبيه، وتوجه قادة المستعمرة بزعامة بوكسر إلى بيت مختار قرية صرفند الخراب وهددوه بأن سقوط ضحية إضافية سيجلب على القرية "عملاً انتقامياً يذكر الصرفيدين بما قام به الأستراليون وقفها".<sup>139</sup>

ארון תצוגת נשק  
לזכר אברהם בוקסר ז"ל  
נתרם ע"י רעייתו יפה וילדיו  
נובמבר 2007



مرئية رقم (35): حربة من طراز 1907 وخزانة أسلحة "بوكسر" في متحف مستوطنة "نس تسيونا"، تصوير المؤلف، 2022.

ويروي كهانوف أنه قام بتحضير خطط لعمليات انتقامية في صرفند الخراب بعد استمرار عمليات فصيل علي بدر، والتي أدت إلى مقتل عدّة مستوطنين من "نس تسيونا"، فقرر تنفيذ عملية انتقامية ضدّ صرفند الخراب تستهدف بيوت القرية وأبارها وبياراتها بالحرق، بالتنسيق<sup>140</sup> مع مقاتلي مستعمرة "ريشون لتسیون"، تبعها كمين لفصيل علي بدر أسفر عن [استشهاد] أربعة من أهالي القرية ألقوا بجثثهم في أحد الآبار.

وفي قصاصة ورقية ضمن مجموعة عادل الريتاوي،<sup>141</sup> في أرشيف المتحف الفلسطيني، يصف الريتاوي فيها المجاهد علي بدر بالقول: "كانت هوايته قنص وصيد حراس المستعمرات الاستيطانية"، موضحاً أن ميدان عمله كان يقع في وادي حنين، برفقة المجاهد إسماعيل سليم. وبحسب مقابلة التاريخ الشفوي مع الحاج محمد إبراهيم،<sup>142</sup> من مهجري صرفند الخراب، فإن أصول المجاهد علي بدر تعود إلى قرية ضمّيل-قضاء الخليل، وأنه وفد إلى القرية صغيراً مع أخته التي تزوجت في صرفند الخراب وعاش فيها وأصبح من أهل البلد.

ويذكر أهالي قرية صرفند الخراب كميناً<sup>143</sup> نفذ ضدّ المجاهدين في منزل المرحوم العبد خليل إبراهيم في البيارات في العام 1938 وينسبونه للإنجليز، ويأتون على ذكر الشهيد علي بدر، حيث دارت على إثر هذا الكمين معركة أسفرت عن استشهاد المجاهد مصطفى عمارة وإصابة ثلاثة من المجاهدين: المجاهد علي بدر، والمجاهد الحاج إسماعيل سليم إبراهيم، وال الحاج أحمد دروش إبراهيم. ويبدو أن المجاهد علي بدر قد استشهد في هذا الكمين، وكذلك ربما باقي المصابين المذكورين أعلاه، إذ يرد في كتاب شاهد على النكبة أن المجاهد علي بدر استُشهد رفقة المجاهد مصطفى عمارة في اشتباك مع الإنجلiz.<sup>144</sup>

وفي شهادة الكولونيال تشارلز بولن، قائد لواء الخيالة النيوزيلندية، بعد المجازرة يؤكد فيها أنه تم تلقي العديد من الرسائل من المستوطنين اليهود ومن قادة التشكيلات القتالية الأخرى تفيد بأن واقعة صرفند سيكون لها تأثير جيد جداً على الأصلانيين (العرب).<sup>145</sup>

Many messages were received from Jewish settlers and senior officers of other formations that this disturbance would have a very good effect on the natives.

## 5.9 أبو يونس بلومفيلد: إبراهام

<sup>36</sup> في الصحافة العربية صحفة بيد اليوم الصهيونية، رقم (36):

<sup>146</sup> عدد 5 - 1920-12، أرشيف الصحافة العربية، المكتبة الوطنية الصهيونية، 1920.

في العدد 61 من صحيفة دوار هيوم (بريد اليوم) الصهيونية الصادرة في القدس بتاريخ 5 كانون الأول 1920، والتي كان يرأس تحريرها زئيف جابوتنسكي، نشر قسم "في الصحافة العربية" ترجمة لمقال صادر في جريدة البلاغ البيروتية دون تحديد تاريخه. يَتَّهَمُ كاتب مقال الصحيفة العربية (دون ذكر اسم الكاتب، لذا يمكننا الافتراض أنه على الأغلب من كتابة محرر الجريدة ذاته جابوتنسكي) جريدة البلاغ بالاستمرار في شيطنة الصهاينة في فلسطين. في مقال البلاغ المنقول في صحيفة بريد اليوم الصهيونية ترد الرواية التالية لمجزرة صرفند الخراب على لسان أحد أعيان فلسطين:

"بالنظر إلى أهمية وضع قرية صرفند العربية، يحاول الصهاينة منذ سنوات شراء أراضي القرية، وعرضوا مبالغ كبيرة بمساعدة كبار موظفي الدولة الأتراك والحكومة الحالية. لكنهم، وعلى الرغم من كل هذا، لم ينجحوا في تحقيق أهدافهم، حيث رفض أهل القرية بيع أراضيهم للغرباء، ومن ثم حاول الصهاينة الوصول إلى هدفهم بإثارة البلبلة وزرع الشقاق بين أهالي القرية. وفي شهر 12 [كانون الأول] من العام 1918، عسكر الخيالة الأستراليون بالقرب من القرية، ما منح الصهاينة فرصة ثمينة. ومن اللحظة الأولى لإقامة المعسكر الأسترالي، بدأ الصهاينة تحريضهم ضدّ القرويين، وكانوا يرسلونهم إلى القرى العربية بحجّة أن كل ما يحتاجون إليه موجود في هذه القرى، ولكن عليهم استخدام العنف للحصول عليه. وبهذا، بدأ الجنود الدخول إلى القرية ويطلبون من القرويين ما يرغبون في الحصول عليه باللغة الإنجليزية. وحين لم يكن القرويون يلبّون طلباتهم لعدم معرفتهم باللغة الإنجليزية، كان الجنود يبدأون بضربيهم وإهانتهم. وفي إحدى الليالي، لاح حارس المعسكر شيخ شخص في الظلام وناداه بصوت عالٍ أمراً إياه بالتوقف، ومن ثم أطلق النار عليه وأصابه، ولكنه بدوره أطلق النار على الحارس، فصحا الجنود على صوت النار ووجدوا الحارس يلفظ أنفاسه الأخيرة، وبدأوا بلاحقة القاتل، ولكنهم لم يجدوا شيئاً غير عباءة ملقاة على الأرض. وفي الصباح التالي، توجّه الصهايوني بلومفيلد المعروف بين القرويين بـ"أبو يونس" إلى المعسكر وتطوّع لقص أثر القاتل... وبعد غيابه ساعات،

عاد إلى المعسكر وأخبر الجنود بأن آثار القاتل تدل على أنه دخل قرية صرفند ولم يخرج منها، ومن ثمَّ صحب الجنود إلى القرية لإلقاء القبض على القاتل. قام الجنود بتعرية الرجال وتفتيش القرية، وحين لم يجدوا القاتل عادوا إلى المعسكر. وفي ذات الليلة، قام المستوطنون الصهاينة بتحريضهم على الانتقام من القرية، فقاموا بحرق القرية بزيت الزيتون والبنزين، وبارتکاب مذبحة في القرية. وتقدَّم القرويون بالشکوى للسلطات بأن الصهاينة يريدون شراء القرية، ولكنها لم تفعل شيئاً سوى نقل المعسكر البريطاني في الرملة بوجود جثة جندي كانت قد اختفت آثاره. ففي إحدى مُغر قرية عاقر [قضاء الرملة]، حيث فشل الصهاينة في شراء أراضي القرية، وشي بأهل القرية بكونهم قتلوا الجندي، وبعد ذلك هاجم الجنود القرية وكانوا على وشك إحراقها...<sup>147</sup>

يذكر مقال البلاغ المنقول في صحيفة "بريد اليوم" صهيونياً باسم بلومفيلد، معروف بين الأهالي باسم "أبو يونس". وبعد جهد جهيد في قصّ أثر "أبو يونس" في الشذرات المبثوطة في الأدبيات التاريخية لمستعمرات ريف الرملة، تبيَّن بأنَّ بلومفيلد المذكور في مقال البلاغ البيروتية المترجم هو أبراهام بلومفيلد، وقد أطلق عليه القرويون اسم "أبو يونس" تعريباً باسم ابنه يوناثان.

وبلومفيلد اللَّعين هذا كان تلميذاً لحارس مستعمرة "بيتح تكفا" التاريخي أبرهام شبيرا، الملقب صهيونياً بـ"الجدع" وـ"الحارس الأسطورة"، وقد عَلِمه "نظريَّة حراسة المستعمرات" القائمة على معرفة الثقافة العربية وبناء علاقات مع القرى المحيطة بها من موقع القوة. وقد كان بلومفيلد مسؤولاً عن حراسة مستعمرة "روحوفوت" خلال سنوات الحرب ومستشاراً لقوات "الأزراك" التي اتَّخذت قيادتها العليا من المستعمرة مقراً لها. ومما ينقله الكاتب الصهيوني عموس دانيالى، من مستعمرة "روحوفوت" وأحد مؤرخيها، أنَّ القوات الأُستالية طلبت من بلومفيلد اسم قادة المنطقة الأتراك الذين كانواأشدَّ إيناداً ليهود في المنطقة للانتقام منهم. عُرف بلومفيلد بين الصهاينة بـ"المارد الأحمر"<sup>148</sup> وهو توصيف

ساعد القرويين على تشخيصه. وقد عايش خلال توليه مسؤولية الأمن في مستعمرة ديران (رحوفوت) مرحلة اشتداد الصراع مع القرى المحيطة بالمستعمرة، وخاصة زرنوقة، فيما عرف بـ"حادثة زرنوقة"<sup>149</sup>، في 23 تموز 1913، والتي بدأت في كروم مستوطنة عيون قارة (ريشون لتسیون) وامتدّت إلى "نس تسيونا"، وانتهت بمقتل اثنين من حراس المستوطنة.

## 5.10 استدراك: خيط الدم من صرفند الخراب إلى كفر قاسم

في 20 تشرين الثاني 1957، قاد أبراهم شابيرا "الجاهة" الصهيونية إلى كفر قاسم لإتمام مراسم الصلحة مع "دولة إسرائيل" على إثر المجازرة التي نفذتها قوات "حرس الحدود" الصهيونية في القرية، بتاريخ 29 تشرين الثاني 1956. وقف شابيرا مخاطباً الحضور المكون من 400 شخص بالقول "إن العنف المتتبادل بين العرب واليهود في هذه البلاد لم يبدأ في كفر قاسم، وإن العنف يولّد العنف".



## 6. نفط وحراب في ليل الجليل الطويل

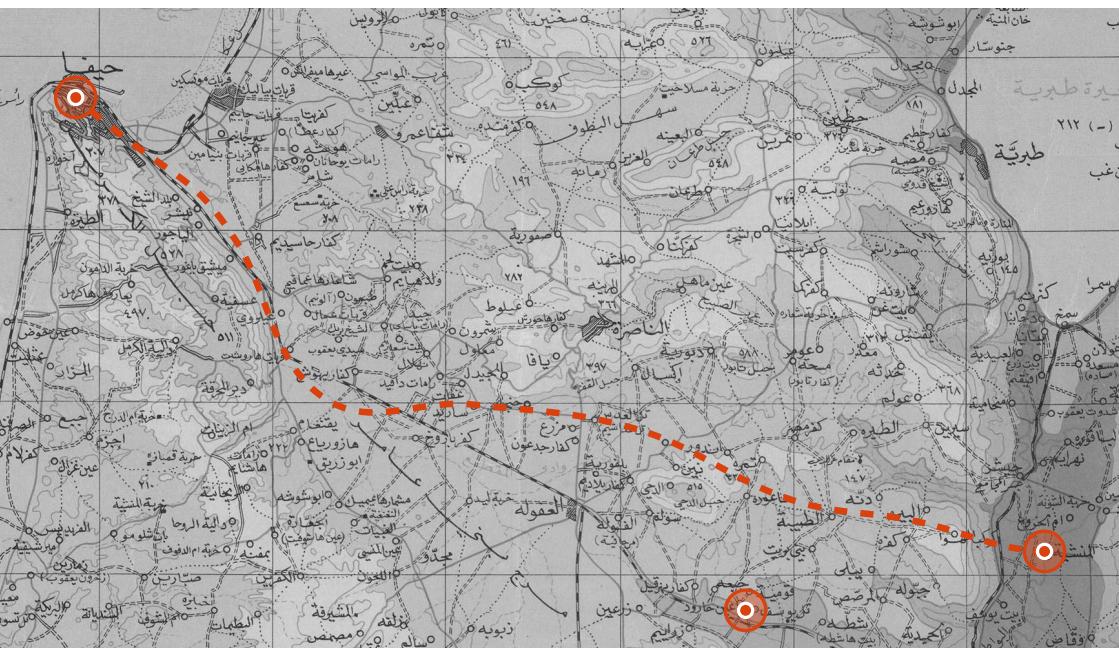
"أقام وينغيت مركز قيادة وتدريب وحدات الليل الخاصة في كيبوتس "عين حارود" (قرية قومية، قضاء بيسان)، ليستفيد من ورشة الحداده في الكيبوتس في شخذ الحراب لتصبح طعناتها مميتة."<sup>151</sup>

### 6.1 "الماسورة"

في نيسان من العام 1936، اشتعلت الثورة الفلسطينية الكبرى (1939-1936) مدشنة أكبر مواجهة عسكرية مع الإمبراطورية البريطانية بين الحرفيين العالميين الأولى والثانية، وأطول ثورة مسلحة مضادةً للاستعمار البريطاني في القرن العشرين. كانت هجمات الثوار على أنبوب النفط العراقي الممتدة من كركوك إلى حيفا، "الماسورة" كما أسماه الفلاحون الفلسطينيون، واحدة من كبرى التحديات التي واجهت الإمبراطورية البريطانية في هذه الثورة. في العام 1934، اكتمل إنشاء أنبوب النفط (التابللين) لشركة نفط العراق البريطانية (Iraqi Petroleum Company IPC) لنقل النفط الخام من كركوك إلى ميناء حifa، بلغ طوله حوالي ألف كيلومتر، منها 60 كيلومتراً في الأراضي الفلسطينية، تبدأ بالقرب من جسر المجامع على نهر الأردن حتى ميناء حيفا، وكانت الـ 60 كم هذه المقطع الوحيد من الخط الإمبريالي الطويل الذي "جنن" الإمبراطورية في سديم الخنوغ العربي.

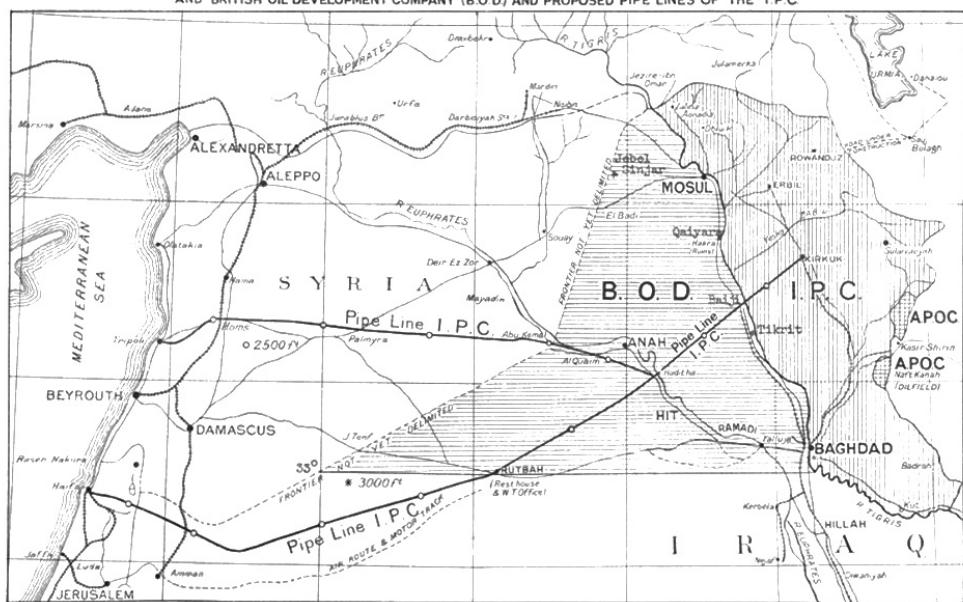
لم تقتصر أهمية الأنابيب البريطاني على النهب الإمبريالي لثروة العراق النفطية – ووصلت صادرات النفط الخام في العام 1939 حوالي مليون ومئتي ألف طن عبر ميناء حيفا.<sup>152</sup> وإنما كان النفط المتدقق إلى مصفاة حيفا مصدر الوقود الأساسي للأسطول البريطاني في البحر المتوسط. ومنذ تموز العام 1936، بدأ الثوار بهاجمة الأنابيب، إذ يشير الشهيد غسان كنفاني في دراسته عن ثورة 1936،<sup>153</sup> إلى أن نصف خط البترول عدة مرات، ابتداءً من 15 تموز 1936، كان ذا قيمة رمزية مثيرة للدهشة، تتمثل في إدراك الثوار قيمة الخط

للمستغل البريطاني، كما يورد موقع الهجمات على الخط: قرية كوكب الهوا، والبيرة، ومستوطنة "محني إسرائيل"، وإكسال، وما بين العفولة وبيسان، وتل العدس، وأرض المرج، وطمرة (الزعيبة)، وكفر مصر، وجسر المجامع، وجنجار، وبيسان، وعين دور (أندور).



مرئية رقم (38): مسار خط 'التابلين' من كركوك إلى حيفا لشركة نفط العراق داخل الأراضي الفلسطينية،  
قمت بتحديده على خريطة فلسطين الصادرة عن مرک الأبحاث الفلسطيني-بيروت، 1966.

MAP OF IRAQ SHOWING THE OIL CONCESSIONS OF ANGLO PERSIAN OIL COMPANY (A.P.O.C.), THE IRAQ PETROLEUM COMPANY AND BRITISH OIL DEVELOPMENT COMPANY (B.O.D) AND PROPOSED PIPE LINES OF THE I.P.C.



مرئية رقم (39): خريطة لمسار خط النفط العراقي من كركوك إلى حيفا، مكتبة قطر الرقمية، 1933.



مرئية رقم (40): حراس مستعمرة "أونيم" (سمة طبعون)

في موقع احدى هجمات الثوار على أنبوب النفط في سهل مرج بن عامر، شلومي شتريت، 1938.<sup>155</sup>

ترَكَّزَتِ عمليات الثوار على "الماسورة" بالقرب من القرى الفلسطينية في سهل بيسان والجزء الشرقي من سهل مرج بن عامر، ونتج عنها توُفُّفٌ ضخٌّ بالنفط لفترات متغيرة، ما كان يعني بكل بساطة أن الفلاح الفلسطيني التأثر كان بمقدوره بوسائل متواضعة وقف إمداد الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط بالوقود، عصب القوة الإمبراطورية العسكرية ووسيلة هيمنتها على أعلى البحار. وفي روايته الشفوية، يصف الحاج عزام محمد الشلبي، من قرية دنة المهجّرة، قضاء بيسان، هذه الآلية/العملية التي أتَّبعها الثوار بالقول: "بحشوا ويكشفوا الماسورة وواحد يطحها بصير البترول ينشب، واحد يكون معه كعبولة شريطي مغرفة كاز يُكْحَث في الكبريتة وبرميها على الماسورة وتهب النار للسما".<sup>156</sup>"

كانت النيران التي تضيء ليل الجليل وأعمدة الدخان الصاعدة منه نهاراً والمرئية على مسافات بعيدة تشَكُّل ضربة معنوية قوية لهيبة وسطوة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.<sup>157</sup> كما يورد الحاج عزام محمد الشلبي،<sup>158</sup> من قرية دنة المهجّرة قضاء بيسان، الحوار التالي بين الثوار ومختار قرية دنة، كان قد نظمه شعراً أستاذ مدرسة قريته علي الخطيب، والذي جاء إليها مدّساً من قرية أندور (عين دور):

"حضرلنا ست زلام يكونوا بالحفر شُطار  
قالوا سَنَّة بالتكمل حضر ميشان الفصيل  
خدلك جملة رجاحيل وطواري وقرمات كبار  
راحوا سُربة قوية بالمنكوش والطوري والماسورة أشعلت ناز  
تاري العسكر مكمنين وسط الزرع قاعدين  
قاموا مثل المجانين وعليهم أطلقوا النار  
تسمع صوت البارود يشبه الصواعق والرعد  
ثارك راحت شرود واتخُوا بِظَلِّ الحجاز"

فاتوا على القرية لِمُونا وبالبارود أربعونا  
 بالمضافة حطُونا احضر وانظر شو صار  
 أول ما علق الخطيب شطبوا جلده تشطيب  
 وبالعصايه والقضيب كسروا إيده اليسار.<sup>159</sup>

\* طورية: أداة زراعية أكبر من المجرفة؛ القرمة: الفأس الكبيرة؛ المنكوش: الفأس؛ سربة: مجموعة.

وإذا ما حضرت سيرة العمليات ضدّ "ماسورة" الإمبراطورية في فلسطين، حضرت معها سيرة المجاهد القائد الشهيد حسين علي الذياب-الزبيادات من عرب الصقر، والذي لا تذكر عمليات نصف وتخريب أنبوب النفط إلا وذكره أهالي القرى المجاورة للأنبوب. وقد استشهد في العام 1938 في وادي دانيال (نسبة إلى مقام الشيخ دانيال) في قرية دنة المهجرة، خلال معركة مع الإنجلiz (على الأغلب مع فرق الليل الخاصة) أثناء مهاجمة خط البترول، بعد مشوار جهادي طويل في معارك الثورة الكبرى في وادي الملح ووادي العاصي وتل الشوك، ومهاجمة مخفر بيسان لتحرير الأسرى ودوائر الحكومة والمستعمرات الصهيونية. وقد تمَّ تهريب جثمانه الشريف بعد استشهاده إلى قرية فقوعة، قضاء جنين، حيث دفن فيها. ويقول الحاج محمد الأشوح، من قرية الحمرا المهجرة، مسقط رأس الشهيد حسين العلي الذياب، إن الثوار حملوا جثمان الشهيد على جمل إلى قرية فقوعة بعد معركة على خط البترول، على حدّ وصفه، ودفنه في دار، "وصبُوا" عليه، إذ كان الإنجلiz يبحثون عن جثته لحرقها.<sup>160</sup>

يحدّد الحاج عزام الشلبي في مقابلته أيضًا مكان استشهاد القائد حسين علي الذياب-الزبيادات من عرب الصقر، في وادي دانيال، الذي يقع ضمن أراضي القرية، خلال معركة نشب مع قوة بريطانية كانت تكمن للثوار بين الصبر، بعد مهاجمة الثوار لخط البترول، مضيفًا أن فلادي قرية دنة أقاموا له بعد استشهاده مقامًا من الحجار عند بقايا دمه، وكانوا يزورون المقام في المناسبات بعد زيارة مقبرة القرية ويقرأون له الفاتحة.<sup>161</sup>

وقد خلَّد الشاعر توفيق زَيَاد ذكرى الشهيد حسين الدياب في قصيدة المشهورة "سرحان والمسورة" وغنتها فرقـة أغاني العـاشقـين:

"كان يمشي نحو تل الحارثية"

حيث ماسورة بترول شقـية

تحمل الخـير الذي يـدفـقـ

من أرض الشعـوب العـربـية

لـبلاد أجـنبـية

كان يمشي نحو تل الحارثية

وبجـنـبـيه دـيـنـامـيت وـنـار وـفـتـيلـ

وعـلـى كـتـفـه كـانـت ... بـنـدقـيـة

...

آه يا ماسورة البترول... يا بنت الحرام... انتظري!

إن سـرـحانـ الشـقـيـيـ ابنـ الشـقـيـةـ

قادـمـ

رـغـمـ اـنـصـبـابـ المـطـرـ

وبـعـيـنـيـه بـرـوقـ شـتوـيـةـ.<sup>162</sup>

وقفـتـ الإـمـپـاطـورـيـةـ عـاجـزـةـ أـمـامـ نـجـاحـ الثـوـارـ "وـلـادـ الـحـلـالـ"ـ فيـ الاستـمـارـ بـضـرـبـ "ـالـمـاسـورـةـ بـنـتـ الحـرـامـ"ـ،ـ بـعـدـ أـنـ جـرـبـتـ كلـ ماـ يـمـكـنـ تـجـرـيـبـهـ منـ عـمـلـيـاتـ عـسـكـرـيـةـ وـإـجـرـاءـاتـ قـمـعـيـةـ لـحـمـاـيـةـ الـأـنـبـوـبــ.ـ وـقـدـ شـمـلـ ذـلـكـ تحـوـيلـ الجـيـشـ الـبـرـيطـانـيـ الـمـنـطـقـةـ الـمـمـتدـةـ عـلـىـ مـسـافـةـ 200ـ مـتـرـ عـلـىـ جـانـبـيـ الـأـنـبـوـبـ إـلـىـ "ـمـنـطـقـةـ حـرـامـ"ـ،ـ أـيـ حـقـوـلـ لـلـمـوـتـ،ـ تـلـقـ فـيـهـ النـارـ عـلـىـ كـلـ

من يقترب، منذ آب 1936، إلى جانب تسيير الدورياتrajla والراكبة، وإنشاء مواقع عسكرية على طول خط الأنابيب، وفرض غرامات باهظة على القرى القريبة من موقع الهجمات. وعلى ضوء هذا الفشل، قدم الضابط أورد وينغيت مقترحاً للقيادة العسكرية البريطانية بإنشاء وحدة عمليات خاصة لحماية خط النفط. وهكذا ولدت فرق الليل الخاصة (Special Night Squads) الأنجلو-صهيونية بقيادة وينغيت ذاتعة الصيت في الوحشية الاستعمارية في سيرة الدم الفلسطيني.

**TUESDAY JUNE 21 1938**

---



---

# PUNCTURING THE I.P.C. PIPE LINE

**NINE TIMES IN FIVE NIGHTS**

---

AFFULE, Monday. — The I.P.C. Pipeline was punctured and the escaping oil ignited tonight near Kau-kab el Hawa.

This was the ninth attack on the line in the past five nights.

---

مرئية رقم (41): ثقب أنبوب شركة نفط العراق تسعة مرات في خمس ليالٍ،

<sup>163</sup> صحيفة بالستاين بوست 21 حزيران 1938، أرشيف الصحافة العربية، المكتبة الوطنية الصهيونية، 1938.

لم تبدأ قصة الصهاينة مع خط النفط العراقي إلى حيفا مع فرق الليل الخاصة الأنجلو-صهيونية، وإنما للقصة بدايات أقدم تعود إلى العام 1926 فقد أدركت الحركة الصهيونية، بمبادرة كل من يوسيف ليفي، صاحب شركة تطوير ميناء حيفا<sup>164</sup>، و"اللجنة الصهيونية المعنية بفلسطين" Palestine Zionist Executive) ومجموعة من المصرفين والصناعيين الصهاينة الإنجليز، الأهمية الاستراتيجية لمَّا هذا الخط إلى حيفا ضمن التخطيط الصهيوني المستقبلي للمدينة كميناء استراتيجي ومركز صناعي للدولة العبرية القادمة بالتقاطع مع المصالح الإمبريالية البريطانية. كما أن المشاركة الصهيونية الفاعلة في فرق الليل الخاصة، التي شَكَّلَ المجندون الصهاينة أغلبية عديدها، في حراسة أنابيب النفط والقمع الوحشي الانتقامي للقرى الفلسطينية... لم تكن بغرض خدمة مصالح الإمبريالية البريطانية، وإنما أساساً للدفاع عن مصلحة صهيونية استراتيجية عليها في تأسيس البنية التحتية للدولة العبرية القادمة. وكان قد سبق فرق الليل الخاصة قيام النواطير اليهود في المستوطنات بحراسة "الماسورة" المارة بالقرب من المستعمرات الصهيونية وتنفيذ كمائن للفلاحين الثوار<sup>165</sup> لا بل مؤلت الوكالة اليهودية بعض رواتب الجنود الإنجليز المكلَّفين بحراستها.<sup>166</sup>

## 6.2 أورد ونغيت ودرس يهوشوع بن نون

مع اغتيال لويس أندرورز، حاكم لواء الجليل، في 26 أيلول 1937، دخلت الثورة المسلحة مرحلتها الأكثر عنفواناً. وأندرورز هذا أسترالي الجنسية وصهيوني مسيحي، وطأت قدماه النجسة أرض فلسطين أول مرة خلال الحرب العالمية الأولى ضمن فرق "الأنزاك"، ومن ثم عمل في الإدارة العسكرية التي أسسها ألنبي في فلسطين، ولاحقاً ضمن سلطة الانتداب. ومع وصول العمليات المسلحة للثورة إلى أوجها، تسلَّل الشعور بفقدان السيطرة إلى نفوس قوات الإمبراطورية في فلسطين، والهلع من تلاشي الهيبة الإمبراطورية في نفوس الفلاحين الفلسطينيين. ودائماً ما كان الهلع الإمبريالي من فقدان الهيبة، بصفتها المقياس الأكبر صدقاً للهيمنة على المحكومين، مقدمةً لتصاعد وحشية وبربرية المستعمرين. وضمن إطار علم الاجتماع السياسي للهيمنة، علينا فهم هذه الوحشية لا بصفتها تعبيراً عن سادية

وخلل نفسي يولد جنوناً دموياً مفرطاً، كما يتم عادةً تأطير وحشية فرق الليل الخاصة، مع التشديد على أن هذه الوحشية المفرطة تشَكّلت في اللقاء الإمبريالي مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، دون إغفال الدوافع العملياتية الإمبريالية البريطانية المتمثلة بضرورة قمع الثورة بأسرع وقت لاعتبارات إعادة تنظيم توزيع القوات الإمبراطورية مع بداية نُذر الحرب العالمية الثانية التي كانت تلوح في الأفق.

ضمن هذه الظروف، بدأ عمل فرق الليل الخاصة (SNS) الأنجلو-صهيونية من حزيران 1936 حتى تموز من العام 1938، التي أسسها وأشرف على تدريبيها وعملياتها ضابط الاستخبارات الأسكتلندي الأصول أورد ونغيت، المعروف بـ"الصديق" عند الصهاينة. كان وينغيت مسيحياً صهيونياً متطرفاً، وصل إلى فلسطين كضابط استخبارات في أيلول من العام 1936، وبعد قيامه بدراسة وتقدير عمل القوات البريطانية في قمع الثورة عموماً، وحماية أنبوب شركة نفط العراق على وجه التحديد، وصل إلى قناعة بعدم فاعليتها وقدّم رؤية لفلسفة قمعية بديلة تقوم على تشكيل "وحدات صغيرة" قادرة على العمل بسرية في الليل تبادر بالهجوم على القرى الفلسطينية ولا تعمل بمنطق رد الفعل كوسيلة فعالة في قمع الثورة الفلسطينية. ولا يمكننا اختزال دوافع وينغيت في تشكيل فرق الموت الأنجلو-صهيونية هذه بالرجوع إلى خلفيته العقائدية فقط، وإنما كانت دوافعه أيضاً إمبريالية عملياتية تتمثل في النقص في القوات البريطانية، ولذا كان اللجوء للقوة الصهيونية المقاتلة حلّاً لهذا النقص.

وفيما تزخر الكتابات الغزيرة حول وينغيت، والذي يعتبر أكثر عسكري بريطاني ألفت عنه كتب ودراسات في تاريخ العسكرية البريطانية الحديثة، بتمجيد عبقريته العسكرية في ابتكار فلسفة عمل القوات الخاصة خلف الخطوط وخاصة في الليل، تدخل سيرة وينغيت وفرق الليل الخاصة في سيرة سنجه ستي يامنة من باب اعتباره الحرفة (من طراز 1907) سلاحاً أساسياً لإرهاب الفلاحين الفلسطينيين، وكذلك في عملية بناء شخصية المقاتل الصهيوني الدموية التي ما زالت فاعلة إلى يومنا هذا، بالنظر إلى كون وينغيت هو مؤسس

نواة الجيش الصهيوني وعقيدته القتالية الإرهابية،<sup>167</sup> وتدرّب على يديه قادته المستقبليين من موسيه ديان ويعاًل ألون وإسحق ساديه وتسفي بريز... وقد وصف بن غوريون شارونَ مرّةً بأنه يذكره دائمًاً بoinigkeit.

وتدخل فرق وينغيت أيضًا في سيرة لعنة النفط العربي، بصفتها فصلاً آخر منسياً في هذه السيرة الدموية التي اكتوى بنارها الفلاحون الفلسطينيون حقيقة لا مجازًا. يورد الباحث ليام جورдан<sup>168</sup> الشهادة التالية لأحد مجرمي فرق الليل الخاصة: "كانت بركة من النفط تزفر باللهب ملاصقة لأنبوب النفط بعد استهدافه بالقرب من إحدى القرى، وحين انكرت مجموعة من أهالي القرية خلال استجوابهم معرفتهم بالفاعلين، أمرنا وينغيت برميهم في وسط البركة المشتعلة... وفي إحدى المرات، وصل وينغيت إلى مكان تخريب الأنبوب، ومن ثم قام بعملية انتقامية في قرية قريبة من موقع الهجوم، حيث أجبر الفلاحين على القدوم إلى موقع العملية حيث كانت بركة من النفط قد تكونت، وأمر الجنود بحشو التراب المجبول بالنفط في أفواههم حتى بدأوا بالتقؤ".

لقد كانت فرق الموت هذه، كما وصفها جون بيرمان، "ماكيّنات قتل جيدة التشحيم".<sup>169</sup> فقد اهتمت هذه الفرق بأدق التفاصيل لكي تكون عملياتها مميتة: من شحذ العِرَاب حتى نوع الطلقات التي زُودت بها المسدسات، إذ استخدمت طلقات خاصة من طراز 0.455 MKI ذات رأس مصنوع من الرصاص بنسبة 99 %، لتسبّب إصابات قاتلة مؤكدة. وقد جرى تصميم هذا النوع من الذخيرة خصيصاً لأعداء بريطانيا غير المتحضرين (Savage)،<sup>170</sup> وتعود بداية استخدامها إلى حروب بريطانيا الاستعمارية في أفريقيا وأفغانستان.

منذ وصوله إلى فلسطين، بدأ وينغيت تعلم العربية بالتواصل مع قيادة "البيشوف" والتعاون الاستخباراتي معها، وقدّم مقترحاً لحايم وايزمان لبناء جيش الدولة العبرية القادمة في أعقاب توصيات "لجنة بيل" بتقسيم فلسطين في العام 1937. ومن ثم بدأ بزيارة المستوطنات مسلحاً بتوصيات من حايم وايزمن وإلياهو غلومب، وبعد أخذ الموافقة من القائد العام

للقوات البريطانية في فلسطين، ويفل، بدأ بإنشاء فرق الليل الخاصة في "كيبوتس عين حارود" (قرية قومية-بيسان)، والذي حوى معسكر تدريب ومركزًا للاستخبارات العسكرية. تكونت الفرق في بدايتها من 40 جندياً بريطانياً و130 مقاتلاً صهيونياً من صفوف المهاجنة، وكان جلُّها لاحقاً من القوات الصهيونية. أما المبنى الهيكلي لهذه الفرق الليلية، فكان كالتالي: وينغيت القائد العام، يليه ضابط ارتباط صهيوني مع الوكالة اليهودية، وتتوالى ثلاثة ضباط بريطانيين قيادة كل فرقة بمساعدة ضابط صهيوني. وقد توزعت معسكراتها كالتالي: القيادة العامة في "عين حارود"، وفرقة في مستعمرة "حانينا" (حانوتا- عكا)، وفرقة في مستعمرة "أيليت هشارح" (ياردا-صفد)، ودفعت رواتبهم من شركة نفط العراق<sup>171</sup> والوكالة اليهودية، التي قامت أيضاً بتسلیح المقاتلين الصهاينة في الفرق، وبالتحديد ببنادق "لي انفیلد" القصيرة المذكورة أعلاه المثبتة عليها الحراب (من طراز 1907).





مرئية رقم (43): إرهابيو فرق الليل الخاصة على جبل الدي ويظهر الأفق جبل الطابور (الطور)، روبرت كينج-كلارك، 1938.



مرئية رقم (44): جندي بريطاني ينخر بحربته فلاحاً فلسطينياً قرب سخنين  
لإجباره على العمل بالسخرة في تعبيد الطريق، شلومي شتريت، 1938.<sup>172</sup>

## 6.3 لماذا الحرب طراز 1907؟

اعتبر وينغيت الحرب (من طراز 1907) السلاح الهجومي الأساسي لفرق الليل الخاصة في ميدان عملياتها الذي أسماه "حقل الصيد"، وذلك بالاستناد إلى "عقيدة الصدمة" التي تتجسد عملياتياً بالتسلل الصامت إلى الهدف (القرية الفلسطينية) ليلاً، ومن ثم الانقضاض عليها بالحرب. وفي حال اكتشاف الفرق أثناء تقدمها، يتم اللجوء إلى القنابل اليدوية (رمّانات ميلز)، والتي وصفها دليل قيادة المشاة في الجيش البريطاني للعام 1938<sup>173</sup> بأنها سلاح ملائم للحرب غير الحضارية، ومن ثم الانقضاض وتمزيق الأجساد بالحرب (من طراز 1907). آمن وينغيت بالحربة كسلاح إرهابي نفسي يترك وراءه الكثير من الدم والأوصال المقطعة محدثاً تأثير الصدمة على الفلاحين ومناسباً للهجمات الليلية الصامتة. ولم يقتصر استخدام الحربة في تنفيذ الاغتيالات، وإنما استُخدمت أيضاً أداة للتعديب في عمليات التحقيق الميدانية. وكانت الحربة السلاح المناسب لمusu وينغيت في بناء المقاتل الصهيوني الجديد المبادر للهجوم والمتحرر من عقدة الجدران على أنقاض المقاتل الصهيوني القديم الذي اعتاد على الدفاع عن المستوطنات من وراء الجدران. وهنا يمكن الفارق مع التراث الاستعماري للحربة التي مُجدّدت كسلاح فروسي في عصر الحروب التكنولوجية كما فَصَّلت آنفاً، إذ لم يكن وينغيت معادياً للتكنولوجيا.<sup>174</sup> وفي كيوبيتس "عين حارود"، بدأ وينغيت تدريباته للمقاتلين الصهاينة على القتال الليلي، مع تركيز خاص على الحربة من طول 17إنش (من طراز 1907).<sup>175</sup> وبالفعل، أثمرت تدريباته في خلق عصابات من الصهاينة، المتعطشين للدم الفلسطيني النافر بطنعات الحرب، المشبعين بعقيدة الانتقام كعقيدة عسكرية، حتى تسائل يوماً الجنرال ديل<sup>176</sup> عمّا يمكن أن تؤول إليه "الأساليب القدرة" لهذه الفرق اليهودية، والتي حتماً ستؤدي إلى ارتکاب المزيد من المجازر الانتقامية في المستقبل.



مرئية رقم (45): شعار فرق الليل الخاصة، أبراهام عكبيا، 1938.<sup>177</sup>

وكما كانت الحرب تلائم القتل التمثيلي الرادع لتعليم الفلاحين الدرس القاسي (الردع)، كان وينغيت يعظ الصهاينة في دروسه التثقيفية في "عين حارود" بأن غلطة النبي يهُوشواع التوراتي تكمن في أنه لم يكن دموياً<sup>178</sup> بما فيه الكفاية مع الكنعانيين.

في 12 حزيران 1939، أرسل جمال الحسيني، رئيس وفد اللجنة العربية العليا، رسالة احتجاجية إلى رئيس لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم، أورد فيها تفاصيل تقشعر لها الأرواح لجرائم فرق الليل الخاصة والجيش البريطاني واصفاً إياها بـ"فظاعات عصور الظلم"، شملت: كي الأجساد بالقضبان الحديدية المحمّاة بالنار، والجلد، وخلع الأظافر، وسحب الأعضاء التناسلية، واغتصاب النساء، وتدمير الممتلكات، والتجويع.<sup>179</sup>

عادةً ما يتم تأطير مثل هذه الفظاعات ضمن تاريخ العنف الإمبريالي البريطاني الطويل، كما تفعل "كارولين إل肯ز" على سبيل المثال.<sup>180</sup> ولكن في حالة فرق الليل الخاصة، شكلت المستعمرات الصهيونية ديفيّات من نوع خاص لنشوء مثل هذه الفظاعات بصفتها بؤراً للتوسيع الاستيطاني تعامل مع ما يحيطها من قرى فلسطينية بصفتها تخوماً برسم الإبادة والتهجير، بما يتّسق مع تاريخ حروب التخوم في المستعمرات الاستيطانية. يصف ريكس-كينج كلارك، قائد إحدى فرق الليل الخاصة، التحوّل الذي مرّ به الجنود

البريطانيون خلال عملهم في هذه الفرق بالقول: "كما كلّما قادنا وينغيت أعمق في المعسكر اليهودي، كلّما أصبحنا أكثر خروجاً عن القانون."<sup>181</sup> ومن هنا، يمكننا فهم توسيع عمل هذه الفرق خارج مسرح عمليات أنبوب النفط العراقي شمالاً، بتنفيذها عمليات انتقامية لتصفية حسابات المستوطنات مع القرى العربية المحيطة، كالتى نفذتها فرق الموت هذه في قرية جردية على الحدود اللبنانية بقرار من الهاجناء انتقاماً من عملياتها ضدَّ مستوطنة "حنينا". وفي سهل الجولة، نفذت هذه الفرق العديد من العمليات لتفكك بنية المقاومة في السهل لتمكين كمال حسين أفندي من بسط سلطته على المنطقة بعد تحوله من معسكر الثورة إلى معسكر المعارضة النشاشيبية العميلة والتواطؤ مع الييشوف،<sup>182</sup> وذلك لتسهيل تسريب أكبر مساحة ممكنة من أراضي الجولة للصهاينة، والتي أصبحت ذات أولوية استيطانية عالية بسبب تخوف الصهاينة من إمكانية ضمَّ منطقة الجولة وإصبع الجليل إلى الدولة العربية بسبب الغالبية السكانية العربية. من هنا، يمكننا القول إن الحراب كانت ملائمة لممارسة الوحشية الاستعمارية الاستراتيجية ولم تكن تعبيراً عن سادية وإثباتاً للرجلولة، هذه الوحشية التي تلائم التعامل مع الطبيعة العربية لل فلاح الفلسطيني كما يقول اللعين ريكس- كينج كلارك.<sup>183</sup> وفي هذا السياق، يأتي نقد ريكس- كينج كلارك<sup>184</sup> للمبالغات في وصف عمليات وينغيت كعمليات عسكرية معقدة كما عند كاتب سيرته سايس، وكما عند الباحث الصهيوني موشيه شرتيت الذي يستميت في تحليل وبعد العمليات العسكرية لهجمات فرق الليل الخاصة على القرى الفلسطينية، ويأخذ عملياتها في قرى كوكب الهوا وخربة لد العوادين ودبورية حالات دراسية، وذلك للردد على المؤرخين الصهاينة الجدد من أمثال توم سيفيف،<sup>185</sup> الذين فكروا أسطورة عقرية وينغيت العسكرية بوصفه بـ"المعتوه المجرم".

كما يتضح من رسالة الحسيني، ومما قاله كلارك،<sup>186</sup> أنه كان يتم التخلص من التقارير الميدانية لعمليات فرق الليل الإجرامية من قبل السلطات العليا للجيش، وأن ما وصلنا من وقائع عينية هو رأس الجليد الظاهر من هذه الفظائع التي تضج بها القبور الصامتة للمعدّين في أرض فلسطين.

فقد ترَكَت العمليات العسكرية لفرق الليل الخاصة في العمليات الانتقامية أساساً في القرى الفلسطينية، والتي جاءت بعد الهجمات على خطّ البتروл وعلى المستوطنات الصهيونية أو على قرى صُنِفت بأنها مساندة للثوار. وكانت هذه العمليات عبارة عن حملات للإعدامات وحفلات التعذيب، بالمعنى الحرفي، والتي كان وينغيت يختتمها بخطبة في أهالي القرية مفادها بأن ما جرى لهم هو درس عليهم تعلّمه... ومن هذه العمليات الانتقامية التي وصلنا فيها وقائع لاستخدام الحربة (من طراز 1907) في عمليات فرق الليل الخاصة ومصدرها مذَكَرات وشهادات مجرميها، يورد اللعين ريكس-كنج كلارك<sup>187</sup> خلال حديثه عن مجزرة-معركة خربة لد العوادين في سهل مرج بن عامر، بتاريخ 3 أيلول 1938، أنه بعد تطويق القرية قام مقاتل صهيوني يُدعى ديفيد من كيبوتس "دغانيا" (خربة أم الجوني-طبريا) بالانقضاض على أحد أهالي الخربة، وهو مختبئ وراء جدار، ومُزَّقه بالحربة، ومن ثمَّ خرج شاخص العينين والحربة بيده غارقة بالدم حتى مقبضها. ويعلّق كلارك بأنها كانت المرة الأولى في حياة الجنود الإنجليز التي يشاهدون فيها قتلاً بالحربة بكل هذا الغضب. وفي نهاية "المعركة"، كان ديفيد منتشياً بجريمته وقام باستعراض حربته المدممة في الكيبوتسات اليهودية المجاورة.<sup>188</sup> يروي الحاج غالب عيد يعقوب،<sup>189</sup> من خربة لد العوادين قضاء حifa، في مقابلة التاريخ الشفوي على موقع فلسطين في الذاكرة أن الخربة كانت معقلًا للثوار، وأن المعركة المذكورة أعلاه استشهد فيها الشيخ طه (الشيخ طه الحوراني من قرية صرفند قضاء حifa، وكان قائد فصيل تابع للقائد يوسف أبو درة)، واستشهد معه محمود نمر الدرباس ومحمد أحمد السلمان وعيسي مفلح أبو راشد، وكلُّهم من الطيرة. ويضيف أن المعركة نشبت بعد تطويق القرية لمحاصرة الثوار الذين كانوا يبيتون فيها، وجاهد أبناء العوادين مع الثوار، واستشهد عدد منهم كيعقوب الحسين ونزلال السمير رحمهما الله. وبحسب مقابلة أخرى مع الأستاذ شريف السيد أحمد من قرية قومية-بيسان،<sup>190</sup> فإن "الإنجليز جاءوا بشهيد من خارج القرية لدفنه فيها يُدعى الشيخ طه، وكان مقتولًا بطلق ناري في الرأس وعلى جثته آثار الطعنات بالسنج في كل مكان".

وفي ليلة 11 آب 1938، هاجمت إحدى فرق الليل الخاصة، فرقة ريكس-كينج كلارك تحديداً، مجموعة من أهالي قرية حطّين وقتلت خمسة من أبناء القرية، اثنان منهم مُرّق جسدهما بالحراب. وما يجب التنويه إليه هنا أنه عادة ما تذكر معركة حطّين (1187) وهزيمة الصليبيين فيها في سياق الحديث عن العمليات العسكرية في القرية، ويورد الباحثان فادي السلايمة ومجدى السعدي<sup>191</sup> من أسماء شهداء هذا الهجوم: الشهيد سعيد محمد صالح الخطيب، والشهيد محمود رشيد الخطيب، وربما هما الاثنان اللذان استشهدوا بالحراب لأن الباحثين يقولان إنهمما استشهدوا دون قتال. وفي 19 تشرين 1938، نفذت فرق الليل بقيادة بيردين عملية ثانية انتقامية في قرية حطّين، يسمّيها الباحثان مجرزة حطّين<sup>192</sup>، أسفرت عن استشهاد ستة من أهالي حطّين، والشهداء هم: يوسف جنيد (فراضية)، ونمر خالد أبو سويد، وسليم البنهس، وأحمد حسين أبو سويد، وعبد الله العناني، ومصطفى الأحمد، وقد شارك في هذه المجزرة الإرهافي يغآل ألون.<sup>193</sup> وقد تكررت مجازر فرق الليل الخاصة، إذ أعدموا واحداً من كل ثمانية أشخاص في قرية كفر مصر (بيسان)، ونفذوا مذبحة ضدّ عرب البشاتوة (بيسان) راح ضحيتها عشرة شهداء، بالإضافة إلى الإغارة على قرية دُبورية (الناصرة)، والتي يأتي على ذكرها الجندي الصهيوني في فرق الليل الخاصة حاييم لافكوف، بالقول: "بعد انتهاء معركة دُبورية، تم العثور على عربي مختبئ في كومة قش. توسل العربي عدم قتلها فانهال عليه الجنود اليهود بالضرب، ومن ثم نزع جندي بريطاني حربته عن بنديقتيه وقام بعمل 'سلطة' من العربي".<sup>194</sup> في التشبيه التهكمي للافكوف لتمزيق ابن دُبورية بالحربة بـ"عمل السلطة" دلاله واضحة على المدى الذي وصلت إليه اعتيادية ممارسة القتل التمثيلي بالحرية في فرق الليل الخاصة. وعلى الأرجح أن المغدور في هذه الجريمة هو الشهيد نجيب عزایزة الذي تروي الحاجة أم علي، من قرية قومية، قضاء بيisan، وذات الأصول الدُبورية، قصة استشهاده التي تعرف تفاصيلها عن قرب لكون الشهيد نجيب عزایزة كان متزوجاً من خالتها بهجة بكر الياسين، فتقول: "جوز خالتي كان يعشّي الجمال هذا في دُبورية، فاتوا عليه وقدّوه، وحمل مصارينه في إيديه، قال يا بهجة أمر ربي... هي شافته هيک غيّبت... وظل حامل مصارينه ثمنه فرط ومات..."

وهي من خوفها ورعبتها غَيَّبت وظلت بيجمي سنة، وماتت الثانية... كان على إيدها  
بنت عمرها سنة ماتت معها من عمايل الإنجليز.<sup>196</sup>



مرئية رقم (46): صورة لمقاتلي فرق الليل الخاصة خلال قيامهم بعملية انتقامية في  
قرية كوك الهوا بعد هجوم على خط النفط، بيتمونا، 1938<sup>197</sup>

في نهاية تموز من العام 1939،<sup>198</sup> حلّت فرق الليل الخاصة بعد أن أُدْتَ مهمتها الإرهابية في قتل أهل البلاد. سال حبر كثير عن خلفيات قرار حلّها، من قلق السلطات البريطانية من تعاظم قوة اليישوف ومروراً بما قيل إنه تخوّف قيادة الحركة الصهيونية من أثر العمليات الانتقامية العكسي على المستوطنات وزيادة عدائية الفلسطينيين لها، وصولاً إلى الدافع الاقتصادي المتمثل بقرار شركة النفط العراقية بوقف تمويل هذه الفرق. وبصرف النظر عن الدافع، فإن النظر بأثر رجعي إلى تجربة فرق الليل الخاصة يقودنا إلى القول إنها كانت

لحظة فارقة في التاريخ الاستعماري لفلسطين، وبالتحديد من حيث تشكيل العقيدة الإرهابية للجيش الصهيوني، ومن حيث كون عملياتها شَكّلت تمريناً حياً للقادم من المجازر الصهيونية. وبالطبع تبقى الدراسة التاريخية الشاملة لهذه التجربة لم تُنجز فلسطينياً بعد، وذلك على الرغم من وجود العديد من الكتابات حولها، وبالتحديد ضرورة التاريخ المفصل لها من التجربة التاريخية الحية للفلاحين الفلسطينيين كمقاومين وكضحايا لها. وفي نهاية هذا القسم، أقدم ما أمكنني جمعه من أسماء القرى والخرب الفلسطينية التي سال فيها خيط الدم الفلسطيني المسفوک على يد هذه الفرق، ومنها: طمرة، دنة، كفر مصر، نين، نوريس، جريدة، الجاعونة، سعسع، كفر برمع، تليل، الديج، البيرة، عرب البشاتوة (جسر الجامع)، كوكب الهوا، بيسان، المجدعة، فُقُوعة، سيرين، حطّين، الطيبة، كفر مندا، سرجونة، دُبورية، مسحة، خربة لد العوادين، عرب الزبيد، الحولة، سنديانة، الناعورة، أم الزينات، شطة، الحمرا، صلحة، إكسال، إجزم، جبع، عين غزال، سيلة الظهر، الخالصة، ملاحة، شوكة التحتا، طوبا، خربة الزاوية، النعيمة، هونين، البطيحة، لوببا، الصنوبرية، تل الشوك...



مرئية رقم (47): كاريكاتور رسمه مقاتل صهيوني في فرق الليل الخاصة يصور

<sup>199</sup> هجوماً بالحراب على قرية عربية، بيتمونا، 1938

## 6.4 استدراك: الطريق إلى عين حارود

في رواية الطريق إلى عين حارود، (1984)<sup>200</sup> للكاتب الصهيوني عاموس كينان، يهرب بطل الرواية رافي من مدينة "تل أبيب" عندما تحولت إلى جحيم في أعقاب انقلاب عسكري وحرب أهلية انتصرت فيها الفاشية. كانت غايته الوصول إلى كيبوتس "عين حارود"، "عين حارود" المدينة الفاضلة والحسن الأخير للديمقراطية والمساواة والمعقل الأخير للمتمزّدين على النظام الفاشي الجديد. لا يمكن لأحد أن يدلّ رافي على الطريق غير العربي محمود، العارف بdroوب البلاد. كان الرحيل إلى "عين حارود" في الرواية عودةً إلى بدايات المشروع الصهيوني الريادي الاشتراكي الديموقراطي قبل أن ينحرف المشروع عن سُكته نحو الفاشية. فمن "عين حارود" ستكون البداية الجديدة لـ"إسرائيل" الليبرالية الجديدة. وبعد رحلة طويلة في دروب البلاد والتاريخ، يصل رافي إلى وجهته ولا يجد شيئاً! اعتبرت رواية كينان بدايةً لما يُعرف بـ"الأدب القيامي" (الأبوكاليبيتي) العربي المهجوس بفساد "إسرائيل" وتفاسخها. وقد ترجمت إلى العربية فور صدورها،<sup>201</sup> واحتُفي بها فلسطينياً وعربياً لحملتها النقدية لعنصرية "إسرائيل". كما عادت الرواية مرّة أخرى إلى الأضواء بعد الصعود اليميني الفاشي، وما رافق هذا الصعود من صراع أهلي داخل المجتمع الصهيوني في العام 2022. لم تتطرق القراءة العربية والفلسطينية والعبرية للرواية إلى المفارقة/النبوءة في اختيار "عين حارود" نقطة البداية الجديدة، إذ تمثل "عين حارود" في السردية الصهيونية نوستالجيا إلى الماضي الصهيوني الذهبي وحياة "الكيبوتس" الطلائعة، والمساواة، والليبرالية النقipض لفاشية الحاضر. ولكن في سيرة الألم الفلسطينية، فإن كيبوتس "عين حارود" هو الحسن الأول للفاشية الصهيونية، في معسكرات تدريب فرق الليل الخاصة، حيث تبلورت العقيدة الإرهابية للجيش الصهيوني، وفي ورشة الحداده فيه شحد الطلائعيون حراب الإمبراطورية لتنقطيع أجساد الفلاحين الفلسطينيين بأعلى كفاءة... لا بدايات جديدة في "إسرائيل"، بل هو عود أبدي إلى موقع الجريمة الأولى... إلى "عين حارود".

أطلقت "إسرائيل" اسم "مركبات جدعون" على المرحلة الثانية من حرب الإبادة على غزة في أيار 2025، وقيل الكثير عن الأصول التوراتية للاسم ولكن جدعون "إسرائيل" الفاشية ولد حقيقة لا مجازاً في "عين حارود" في العام 1938، حيث أطلق أورد وينغيت اسم "جيش جدعون" على فرق الليل الخاصة الإرهابية، وبقي يستخدمه بين جنوده بعد أن رفضت القيادة العسكرية البريطانية اعتماده رسمياً.

### بمثابة خاتمة لسيرة تأبى الختم

"يروي القرويون وينغتون في وقت واحد معًا، وفي الرواية تجتمع أصوات كل جنسهم البشري، شعراً بامتياز، ليسوا قارئي طبول ولا حاملي دفوف، أو منشدي إيقاعات حزينة. إنهم أصحاب أقدم أشكال الملاحم البطولية التي تقصّ قصة شيخ يخرج من حي الفقراء في حيفا رفقة عدد قليل من الأصحاب ليواجه جيش إمبراطورية لم تغرب الشمس بعد عن أسنة حرابها، وهو يعلم أنه لن يهزم هذا الجيش، وأنه سيسقط قتيلاً بين الأحراس، وقصة شباب سيولدون في مقبل الأيام بعد عشر أو عشرين أو خمسين سنة، وينتشرون في الأحراس ذاتها وفي المخيمات حاملين الاسم ذاته، وأسماء أصحابه، وهم يعرفون أنهم سيسقطون قتلى بين الأشجار وتحت حطام البيوت أيضاً. هل اجتمعت في ملحمة القسام البسيطة، بحكايتها والغناء الذي رافقها، ملابس الأصوات الممكنة والكامنة؟ في هذه الملحمة لم تنفصل الرواية عن الأغنية، والمفاجئ، والذي كان يمكن أن يصعق ضباط الإنجليز الذي أرسلوا جنودهم إلى أحراس يبعد لو ظلّوا أحياء، أن هذه الملحمة ذاتها لم ينفصل فيها الماضي عن الحاضر وما ستأتي به الأيام. الزمن، الزمن الذي يتوزّع على الساعات، يتلاحم هنا في ساعة كونية، لا يغدو بعدها لليل سيطرة ولا للموت حين ينطلق أبناء وأحفاد القرويين تحت هذه السماء الزرقاء ذاتها بين الوديان وشعاب الجبل". محمد الأسعد، أم الزينات تحت ظلال الخروب.

أُمِرَّ أَصَابِعِي الْآنَ عَلَى نَصْلِ سَنْجَةِ سِتَّيِّ يَامِنَةِ  
أَغْمَضْ عَيْنِي...

نَهَرُ التَّايِمِيزِ يَسْتَعِيدُ اسْمَهُ النِّنِينِ الْعَظِيمِ (Great Stink)  
جَثْثُ الْإِمْبَرِيَالِيِّينِ تَحْلِلُ فِي قَاعِهِ  
تَنْهَشُ خَدُودُهَا أَسْمَاكٌ ذَهَبِيَّةٌ بِهِيَّةٍ  
وَأُخْرَى مُنْتَفَخَةٌ تَتَهَادِي عَلَى صَفَحَةِ الْمَاءِ الْحَمَراءِ  
عَيْونُهَا شَاهِقَةٌ إِلَى السَّمَاءِ:

دُخَانُ أَسْوَدٍ جَمِيلٌ يَمْحُو بِيَاضِ ضَبَابِ لَندَنِ الْقَبِيبِ  
وَجَرْسُ "بَيْغُ بْنٍ" يَصَارِعُ لِبَثِ دَقَّتِهِ الْمُخْنَوْقَةِ الْأُخِيرَةِ  
دَمْدَمَةٌ طَبُولٌ أَفْرِيقِيَّةٌ  
وَأَهَازِيجُ الثُّورَةِ الْفَلَاحِيَّةِ  
تَبَعُثُ الْخَدْرُ فِي أَثِيرِ الرَّمَنِ الْجَدِيدِ  
صَدَاها يَتَرَدَّدُ فِي "داونِينِغُ سَتِرِيتِ":  
"مَنْدُوبُ خَبْرِ دُولَتِكَ... لَندَنُ مَرَابِطُ خَيْلَنَا".

"وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ  
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (سُورَةُ الزُّمْر - 69)

(هذا ما كتبته سِتَّيِّ يَامِنَةِ بِيدِ حَفِيدِهَا الْمُشْتَاقِ الَّذِي لَمْ تَرَهُ وَلَمْ يَرَهَا...  
تمَّ فِي 7 تَشْرِينِ الْأَوَّلِ 2025، الْقَدَسُ الْمُحْتَلَةُ)

## الإحالات

- [1] Michael Rose, 17 Inches Of Imperial Steel: Sword Bayonet Pattern 1907 in British Service, Vol. 1: 1907-1914 (Gisborne: Victoria, 2017).
- [2] الحرب الروسية اليابانية (8 شباط 1904 - 5 أيلول 1905): بين الإمبراطورية الروسية القيصرية والإمبراطورية اليابانية وكان سببها التنافس على أراضي منشوريا وكوريا وانتهت بانتصار اليابان.
- [3] Frank Jacob, The Russo-Japanese War and Its Shaping of the Twentieth Century (London: Routledge, 2017), 1.
- [4] مصطفى كامل، الشمس المشرقة، ط 1 (القاهرة: مطبعة اللواء، 1904).
- [5] Cemil Aydin, "A Global Anti-Western Moment? The Russo-Japanese War, Decolonization, and Asian Modernity" in Competing Visions of World Order: Global Moments and Movements, 1880s–1930s (New York: Palgrave Macmillan, 2007), 219.
- [6] Bill Harriman, The Arisaka Rifle (United Kingdom: Bloomsbury Publishing, 2019).
- [7] Imperial War Museums, "Japanese Type 30 Bayonet, with Scabbard," object no. WEA 604, accessed 6 October 2025.  
<https://www.iwm.org.uk/collections/item/object/30003266>.
- [8] حول تحديث الجيش الياباني والصراع مع طبقة الساموراي، انظر : Edward J. Drea, Japan's Imperial Army: Its Rise and Fall (University Press of Kansas, 2009).
- [9] للمزيد حول الحربة أريساكا' في الأعمال الفنية اليابانية، انظر : "Golden Kamuy," Wikipedia contributors, The Free Encyclopedia, Last modified 10 August 2025, accessed 13 October 2025.  
[https://en.wikipedia.org/wiki/Golden\\_Kamuy](https://en.wikipedia.org/wiki/Golden_Kamuy); "Arisaka Rifle", Internet Movie Firearms Database, Last modified 19 August 2025, accessed 13 October 2025.  
[https://www.imfdb.org/wiki/Arisaka\\_Rifle](https://www.imfdb.org/wiki/Arisaka_Rifle).
- [10] حول دور المراقبين العسكريين الأوروبيين ودورهم في الحرب الروسية اليابانية، انظر :

Liam Caswell, Born Soldiers Who March Under the Rising Sun: The Russo-Japanese War, Britain's Military Observers, and British Impressions Regarding Japanese Martial Capabilities Prior to the First World War (Halifax, NS: Dalhousie University, 2017).

[11] Patrick Porter, "Military Orientalism? British Observers of the Japanese Way of War, 1904–1910," *War & Society*, Vol. 26, No. 1 (2007): 1-25.

[12] المصدر نفسه.

[13] تعني الكلمة بوشيدو في اليابانية "طريق المحارب"، وتشير إلى جملة القوانين والأخلاقيات التي كان يتبعها محارب الساموراي، وتلخص في الزاهدة والشجاعة والتضحية والاهتمام بالآخرين والتعاطف معهم والشعور القوي بالواجب.

[14] حول الحداثة والروح القتالية، انظر:

Alexander M. Nordlund, "A War of Others: British War Correspondents, Orientalist Discourse, and the Russo-Japanese War, 1904–1905," *War in History*, Vol. 22, No. 1 (2014): 28–46. (Original work published 2015).

[https://doi.org/10.11770968344513519595/.](https://doi.org/10.11770968344513519595/)

[15] Shikō, The Occupation of the Harbor of Port Arthur: At Long Last, after Unremitting Bombardment of the Impregnable Fortress by the Elite of our Army and Navy, the Stronghold Fell (Tokyo: Naraha Sannosuke, 1904). Woodblock print. Saint Louis Art Museum, St. Louis. Object no. 336:2010a–c, accessed 6 October 2025,

[https://www.slam.org/collection/objects/52565/.](https://www.slam.org/collection/objects/52565/)

[16] دشن الهجوم البحري الياباني المفاجئ على ميناء "بورت آرثر" (منشوريا- الصين)، في الثامن من شباط 1904، بداية الحرب الروسية اليابانية، تلاه تحوّل العمليات العسكرية اليابانية منذ شهر آب من ذات العام إلى فرض حصار خانق على الحصن الروسي المتين، وفي المرحلة النهائية من الحصار هاجم اليابانيون الحصن بموجات من الهجمات الانتحارية بعشرات آلاف الجنود المسلمين بالحراب قبل أن تعلن القوات الروسية الاستسلام في أواخر شهر كانون الأول 1904.

[17] لتلخيص ممتاز حول دروس الحرب الروسية اليابانية في الجيوش الأوروپية، انظر:

Yigal Sheffy, "A Model Not to Follow: The European Armies and the Lessons of the War" in *The Impact of the Russo-Japanese War* (London: Routledge, 2006), 273288-.

[18] Yohanan Petrovsky-Shtern, "War and peace of Iosif Trumpeldor: From Zionist Hagiography to Cultural History," *Journal of Israeli History*, Vol. 39, No. 1 (2021): 13-33.

[19] Allison B. Gilmore, *You Can't Fight Tanks with Bayonets: Psychological Warfare against the Japanese Army in the Southwest Pacific* (Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1998).

[20] Herbert A. Friedman, "The United States PSYOP Organization in the Pacific During World War II," *Psywarrior*, 26 January 2005, accessed 6 Oct 2025.

<https://www.psywarrior.com/PSYOPOrgWW2Pac.html>.

[21] Charles Edwin Fripp, *The Battle of Isandlwana*, 22 January 1879. (England, c. 1885). NAM. 1960-11-182-1. National Army Museum, UK, Global Role gallery.

<https://collection.nam.ac.uk/detail.php?acc=1960-11-182-1>.

[22] Karen Jones, *A Cultural History of Firearms in the Age of Empire* (London: Routledge, 2016), 152.

[23] Ibid.

[24] Ibid., 154.

[25] Ian F. W. Beckett, "Indigenous Resistance in the Anglo-Zulu War," *Historical Encounters*, Vol. 10, No. 2 (2023): 12-21.

[26] رمح "الأسيجاي": سلاح القتال الأساسي لقبائل الزولو، وهو عبارة عن عصا خشبية أسطوانية تنتهي بنصل معدني حاد وله نوعان؛ الأول قصير يستخدم للطعن في الالتحام القتالي ويسمى "إكلوا"، وهو الصوت الذي يخرجه الرمح عند نزعه من الجسد المطعون، والثاني طويل يستخدم للرمي عن بعد.

.Jones, op. cit., 148 [27]

[28] Eric Schmitt, "U.S. Used Missile With Long Blades to Kill Qaeda Leader in Syria," *The New York Times*, 24 June 2020, Updated 20 July 2021, accessed 6 Oct 2025.

<https://www.nytimes.com/2020/06/24/world/middleeast/syria-qaeda-r9x-hellfire-missile.html>.

[29] "Hellfire R9X Missile: The Mystery Weapon," *Civils Daily*, 3 August 2022, accessed 6 October 2025.

[https://www.civilsdaily.com/news/hellfire-r9x-missile-the-mystery-weapon/.](https://www.civilsdaily.com/news/hellfire-r9x-missile-the-mystery-weapon/)

[30] "Jerusalem Won at Bayonet's Point; British Would Not Reply to Artillery Fire for Fear of Damaging the City. American Colony Saved," *The New York Times*, 18 December 1917, Times-Machine, accessed 7 October 2025.

[https://timesmachine.nytimes.com/timesmachine/1917/12/18/98257183.html?pageNum=2&ber=2.](https://timesmachine.nytimes.com/timesmachine/1917/12/18/98257183.html?pageNum=2&ber=2)

[31] Paul Hodges, "They Don't Like It Up'em!: Bayonet Fetishization in the British Army During the First World War," *Journal of War & Culture Studies*, Vol. 1, No. 2 (2008): 123-138.

[32] Mike Horswell, *The Rise and Fall of British Crusader Medievalism, c. 1825–1945* (London: Routledge, 2018), 124.

[33] Yigal Sheffy, "Chemical Warfare and the Palestine Campaign, 1916-1918," *The Journal of Military History*, Vol. 73, No. 3 (2009): 803-844.

[34] Ibid., 125.

[35] Michael Brown, "Cold Steel, Weak Flesh: Mechanism, Masculinity and the Anxieties of Late Victorian Empire," *Cultural and Social History*, Vol. 14, No. 2 (2017): 155-181.

[36] Matthew Hughes, "Fieldmarshal Viscount Allenby: One of the Great Captains of History?" in *Palestine and World War I: Grand Strategy, Military Tactics and Culture in War*, ed. Haim Goren, Eran Dolev and Yigal Sheffy (London: Bloomsbury Publishing, 2014).

[37] Brown, op.cit., 155-181.

[38] Justin Fantauzzo and Robert L. Nelson, "A Most Unmanly War: British Military Masculinity in Macedonia, Mesopotamia and Palestine, 1914–18," *Gender & History*, Vol. 28, No. 3 (2016): 587-603.

[39] Jean Bou, "A Cavalry Victory? Cavalry in the Historiography of the Sinai-Palestine Campaign" in *Palestine and World War I: Grand Strategy, Military Tactics and Culture in War*, ed. Haim Goren, Eran Dolev and Yigal Sheffy (London: Bloomsbury Publishing, 2014).

[40] Australian War Memorial, "The 2nd Australian Light Horse Brigade Entering the Village

of Zernukah", (Palestine, 16 January 1918,) Photograph, accessed 7 October 2025.

<https://www.awm.gov.au/collection/B01503.>

[41] Australian War Memorial, "A Jewish family with three soldiers, including Lieutenant Fred Harold Tomlins (far left) taking tea on the verandah" (Palestine, July 1918,) Photograph, accessed 7 October 2025.

<https://www.awm.gov.au/collection/C228397.>

[42] David R. Woodward, Hell in The Holy Land: World War I in the Middle East (Lexington: University Press of Kentucky, 2006), 174.

[43] Paul Daley, Beersheba Centenary Edition: Travels through a Forgotten Australian Victory [Kindle ed.] (Melbourne University Publishing, 2017), Kindle Locations 3801–3803.

[44] Major C. H. Dudley Ward, The 74th Yeomanry Division in Syria and France, foreword by Field-Marshal Viscount Allenby (London: John Murray, 1922; Digital ed. converted and distributed in 2012 by Andrews UK Limited).

[45] Bou, Cavalry, Firepower, and Swords..., op.cit., 99-125.

[46] Jean Bou, "Cavalry Combat Mounted Warfare in Palestine" in The Australian Imperial Force, Jean Bou, Peter Dennis and Paul Dalglish, eds.(South Melbourne, Victoria: Oxford University Press, 2016).

[47] Edward C. Woodfin, Camp and Combat on the Sinai and Palestine Front: The Experience of the British Empire Soldier, 1916- 18 (Hounds Mills, UK: Palgrave Macmillan, 2012), 21.

[48] روی ماروم، "الحرب العالمية الأولى في سهل سارونة،" في سهل سارونة وانطلاق معركة مجدو في الحرب العالمية الأولى، تحرير عران تيروش (القدس: أرائيل للنشر، 2015)، 48-29. [بالعبرية]

[49] روی ماروم، "الحرب العالمية الأولى في سهل سارونة،" في سهل سارونة وانطلاق معركة مجدو في الحرب العالمية الأولى، تحرير عران تيروش (القدس: أرائيل للنشر، 2015)، 48-29. [بالعبرية]

[50] F.S.A. The Marquess of Anglesey, A History of the British Cavalry: Volume 5: Egypt, Palestine and Syria 1914–1919 (United Kingdom: Leo Cooper, Pen & Sword Books, 1994), 139–140.

[51] Zachary D. Grafman, The Battle of Beersheba: Strategic and Tactical Pivot of Palestine

(Virginia: University of Liberty, 2013).

[52] Mesut Uyar, *The Ottoman Army and the First World War* (London: Routledge, 2020), 313.

[53] Australian War Memorial, "Thunder of a light horse charge", 4th Light Horse Brigade at Beersheba on 31st October 1917," (Palestine, February 1918), Photograph, accessed 7 October 2025.

<https://www.awm.gov.au/collection/C595>.

[54] Matt Chun, "Enduring Silence: Anzac Day and the Frontier Wars", Overland, 3 May 2018, accessed 7 October 2025.

<https://overland.org.au/201805/enduring-silence-anzac-day-and-the-frontier-wars/>.

[55] Padraig Gibson, "Imperialism, ANZAC Nationalism and the Aboriginal Experience of Warfare," *Cosmopolitan Civil Societies Journal*, Vol. 6, No. 3, (2014).

[56] Ibid.

[57] Carolyn Holbrook, *Anzac: The Unauthorised Biography* [ Kindle ed.]. (Sydney: New-South, 2014), Kindle Locations 354-356.

[58] Frances Peters-Little, Ann Curthoys, and John Docker (eds.). *Passionate Histories: Myth, Memory and Indigenous Australia* (Canberra: ANU Press, Aboriginal History Monographs, 2010), Vol. 21.

[59] شكري نديم، *حرب فلسطين* (بغداد: شركة النبراس للنشر والتوزيع، 1965). 105.

.Uyar, op. cit., 302 [60]

[61] Edward Harold O'Brien as a private, C Squadron, 3 Light Horse Regiment, 1917-1919, interviewed by Major Douglas Wyatt. Australian War Memorial, (Accession No. S00681).

<https://www.awm.gov.au/collection/C88026>.

[62] Australian War Memorial, "An Australian Soldier With Some Locals Inside The Ruins of an Ancient Building Site. First World War, 1914-1918" (Surafend, Palestine, C. 1918), Photograph, accessed 7 October 2025.

<https://www.awm.gov.au/collection/C248175?image=1.>

- [63] Liora R. Halperin, *The Oldest Guard: Forging the Zionist Settler Past* (Redwood City: Stanford University Press, 2021).
- [64] Yuval Ben-Bassat, *Petitioning the Sultan: Protests and Justice in Late Ottoman Palestine 1865-1908* (London: I.B.Tauris, 2014), 224.
- [65] Simon Anglim, *Orde Wingate and the British Army, 1922-1944* (London: Routledge, 2015), 23.
- [66] British Census Office in Palestine, "Report and General Abstracts of the Census of 1922, taken on the 23rd of October, 1922", Compiled by J. B. Barron, Superintendent of the Census (Jerusalem, 1923).

[67] للمزيد انظر: أرشيف سلطة الآثار الصهيونية: Sarafand el Kharab، ملف رقم: 064480-IL-IAA-ARC [بالعبرية] (تل أبيب: وزارة الدفاع' قسم النشر، 2021). 157.

[68] رونين شيف، بُرئات مزدوجة (تل أبيب: وزارة الدفاع' قسم النشر، 2021).

[69] للمزيد انظر :

Meron Benvenisti, "Bovaria Babriyya: a Frankish Residue on the Map of Palestine," in *Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem*, Presented to Joshua Prawer, Binyamin Ze'ev Kee dar, Hans Mayer, Raimund Charles Scmail and Joshua Prawer, ed., (Yad Izhak Ben-Zvi Institute, 1982), 130.

[70] Charles Clermont-Ganneau, *Archaeological Researches in Palestine During the Years 1873-1874: With Numerous Illustrations from Drawings Made on the Spot by A. Lecomte Du Noüy*, Vol. 2 (Palestine Exploration Fund, 1896), 124-125.

[71] Amir Gorzalczany, "A Site from the End of the Byzantine and the Early Islamic Periods at Sarafand el-Kharab, Nes Ziyyona," *עתיקות/Atiqot*, Vol. 46 (2004): 130-131.

[72] يوسف إبراهيم، مقابلة مصوّرة أجراها رakan محمود، فلسطين في الذاكرة، 3 آب 2008. <https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/ar/Story12145.html>.

[73] هذه الصورة معروفة بـ"قرية صرفند"، بينما يشير الوصف الكامل إلى أن القرية كانت مسرحاً لعملية قتل

انتقامية في 10 كانون الأول 1918، ما يجمل بكونها لصرفند الخراب تحديداً:

Wynton Herbert French Collection, A Photo of the Village of Surafend, Palestine (Surafend, Palestine, ca. 1918–1919), Wairarapa Archives, Masterton District Library, New Zealand, 06-78/3-19.

[74] سالمنامة ولاية الشام 1288 هجرية (1871م) .162

[75] سعاد العامری ورنا عنانی، عمارة قرى الكراسي: من تاريخ الإقطاع في ريف فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (رام الله: رواق- مركز المعمار الشعبي، 2003)، 198.

[76] أمين مسعود أبو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918، ط1(عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1996)، 367.

[77] Ibid., 226.

[78] "Weizmann Sends Warning to British General," CIE, 26 January 1919, accessed 7 October.

[https://israeled.org/weizmann-sends-warning/.](https://israeled.org/weizmann-sends-warning/)

[79] Terry Kinloch, Devils on Horses: In the Words of the Anzacs in the Middle East 1916-19 (Exisle Publishing, 2016), 220.

[80] Sahar Huneidi, A Broken Trust (London: I.B Tauris, 2001), 32.

[81] Doreen Ingrams, ed., Palestine Papers, 1917-1922: Seeds of Conflict (London: Eland Pub Ltd., 2009), 34. (Original work published 1973, New York: G. Braziller)

[82] Ibid., 42.

[83] Ibid.

[84] Ibid., 31.

[85] محفوظات ولاية بافاريا الرئيسية ، 235 BS Palestine جميع حقوق الصور محفوظة مقاييس: 1:12800.

[86] Australian War Memorial, Panorama of the Village of Wady Hanein with the Light Horse

Camp in the Background, November 1918, (Accession No. B00445 ).

[87] يوسف إبراهيم، مصدر سبق ذكره.

[88] محمد حسن إبراهيم، مقابلة مصورة أجراها رakan محمود، فلسطين في الذاكرة، 17 أيار 2007.

<https://youtu.be/8buOttta4FoE>.

[89] "صرفن드 الخراب: سبب التسمية"، فلسطين في الذاكرة، 9 تموز 2007، شوهد في 13 تشرين الأول 2025.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/Story2681.html>.

[90] "صرفن드 الخراب: قصة مذبحة صرنجد الخراب يرويها علي محمد ابراهيم (أبو باسم الصرفندي)، فلسطين في الذاكرة، 27 آب 2009، شوهد في 13 تشرين الأول 2025.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/Story14876.html>.

[91] علي الصرفندي، "محرقة صرنجد الخراب"، فلسطين في الذاكرة، 29 آب 2009، شوهد في 13 تشرين الأول 2025.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/Story14899.html>.

[92] بيان نويهض الحوت (إعداد)، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية من أوراق أكرم زعيتير (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، 362.

[93] محمد سرحان عبد الرحيم، مقابلة مصورة أجراها فؤاز سلامة، فلسطين في الذاكرة، 28 شباط 2005.

<https://youtu.be/QaB-Q6Coszg?list=PL5I1KO1JPQyvxcaX1Yp6Ys-0VodBpWj21>.

[94] موسى عنبر الصرفندي، مقابلة مصورة أجراها جلال رمانة، 20 كانون الثاني 2023.

<https://www.facebook.com/share/v1/FAZniFXjU/>

[95] Australian–New Zealand Army (AIF and NZEF), The Kia-ora coo-ee: Official Magazine of the Australian and New Zealand forces in Egypt, Palestine, Salonica & Mesopotamia, No. 3 (Kia-Ora Coo-ee, 15 May 1918), National Library of Australia, Nq 940.394098 KIA.

[96] Noam Chomsky, Pirates and Emperors, Old and New: International Terrorism in the Real World (London: Pluto Books, 2016).

[97] Woodfin, op.cit.,128.

[98] Australian War Memorial, Australian Imperial Force Unit War Diaries, 1914–18 War, AWM4 3/8/29: Egyptian Section, Australian Provost Corps, December 1918 (Accession No. RCDIG1003558).

<https://oaitest.awm.gov.au/collection/C1342136>.

[99] Court of Inquiry into Tpr Lowry's Death, 10/12/1918, NA WA Series 1/3 Box 6 File 1069.

[100] Australian War Memorial, Proceedings of a Court of Inquiry Assembled at Wadi Ha-nein to Enquire into the Part Played by the 2nd Light Horse Brigade in a Raid on Surafend on 10 December 1918, AWM27, 357/11.

[101] Paul Parker, ed., From Geraldine to Jericho: John Barker and the Great War (Wellington: Paul Parker, 2017), 82-83.

[102] Australian War Memorial, Proceedings of a Court of Inquiry..., op.cit.

[103] Ted Andrews, "Surafend, The Massacre/ Palestine, 10 December 1918," Desert Column: Australian Light Horse Studies Centre, 4 August 2009, accessed 21 October 2025 (Anonymous diarist "Kiwi Trooper", Wellington, 1967).

[https://alh-research.tripod.com/Light\\_Horse/index.blog/1944440/surafend-the-massacre-palestine-10-december-1918-ted-andrews-account/](https://alh-research.tripod.com/Light_Horse/index.blog/1944440/surafend-the-massacre-palestine-10-december-1918-ted-andrews-account/).

[104] National Archive Of Australia: NAA. A981, PERS 237, Personal. A. S. Mulhall The Surafend Incident—December 1918 Correspondence.

[105] "Unofficial History Of The A. I. F," Smith's Weekly (Sydney, NSW: 1919 - 1950) 24 June 1933: 16, accessed . 9 Oct 2025.

<http://nla.gov.au/nla.news-article235072211>.

[106] Australian War Memorial, Australian Raiding, Collection Item C226654, (Accession No. RELAWM03768).

[107] Woodfin, op.cit., 141-143.

[108] A. B. Paterson, Happy Dispatches [eBook ed.] (Project Gutenberg Australia, 2021) (Original work published 1935)

<https://gutenberg.net.au/ebooks06s06/0603451h.html>.

[109] Archives New Zealand. "Burning of Surafend Village [1918], Palestine - February 1921 - March 1922" (1921–1922), R3885187.

[110] Bill Gammage, The Broken Years: Australian Soldiers in the Great War (Australian National University Press: 1974), 145.

[111] Alison Wishart, "Good Friday, 1915", Australian War Memorial, 1 April 2015, accessed 8 October 2025.

<https://www.awm.gov.au/articles/blog/good-friday-1915#:~:text=One%20hundred%20years%20ago%C2%0in,Accession%20Number:%20C00525.>

[112] Daley, op. cit., 733-734.

[113] D. John Milnes, Imperial Soldiers? The New Zealand Mounted Rifles Brigade in Sinai and Palestine 1916-191 (MA diss., Dunedin: University of Otago, 1999).

[114] Ibid, 46.

[115] Lorenzo Veracini, The World Turned Inside Out: Settler Colonialism as a Political Idea (London: Verso Books: 2021), 153.

[116] Gammage, op.cit.

[117] حول العلاقة بين مستوطني "روحفوت" وقيادة "الأنزاك"، انظر: رحيل روجيل، "قيادة الجنرال سير هنري شوفل في مستعمرة روحفوت في معارك مشارف القدس،" في المؤتمر التاسع لجمعية لإرث الحرب العالمية الأولى في "إسرائيل" 19-18 تشرين الثاني 2010، تحرير عزرا فيمنتال وأفي ششون (القدس : أرئيل للنشر، 2011). (بالعبرية)

[118] حول أوضاع المستوطنات الصهيونية في الحرب العالمية الأولى، انظر: مردخاي إلياب (تحرير)، حصار وضيق: أرض 'إسرائيل' في الحرب العالمية الأولى (القدس: يد اسحق بن تسفي، 1991). (بالعبرية)

- [120] Anita Shapira, *Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948* (Stanford University Press: 1999), 93.
- [121] Sonia Fathi El-Nimr, *The Arab Revolt of 1936-1939 in Palestine: A Study Based on Oral Sources* (PhD Diss., University of Exeter, 1990), 144.
- [122] Benny Morris, *Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 1881-1998* (London: Vintage ed., 2011), 87-88. (Original work published 1999).
- [123] Ibid., 88.
- [124] Roman Freulich, *Soldiers in Judea: Stories and Vignettes of the Jewish Legion* (Herzl Press, 1965), 162- 165.
- [125] Halperin, op.cit., 10.
- [126] Gideon M. Kressel and Reuven Aharoni, *Egyptian Émigrés in the Levant of the 19th and 20th Centuries* (JCSFA, 2013), 21.
- [127] Freddy Liebreich, *Britain's Naval and Political Reaction to the Illegal Immigration of Jews to Palestine, 1945-1949* (London: Routledge, 2004).
- [128] بلدية نيس تسيونا، 'نيس تسيونا' مدينة في قلب موشافا (نيس تسيونا: بلدية نيس تسيونا، 2005)، 34.  
[بالعبرية]
- [129] بوعز هوربيتز، رائحة الأرض السائبة: ريشون لتسيون 1882-1922 (ريشون لتسيون: لجنة المزارعين في ريشون لتسيون، 2014)، 229. [بالعبرية]
- [130] Nahum Karlinsky, *California Dreaming: Ideology, Society, and Technology in The Citrus Industry of Palestine, 1890-1939* (New York: SUNY Press, 2012).
- [131] Halperin, op. cit., 76.
- [132] إبراهام بولينغ، الأوائل في الدفاع: قصة 'الهاجناء' في قطاع ريشون لتسيون (ريشون لتسيون: منظمة أعضاء 'الهاجناء' في ريشون لتسيون، 1990)، 38-39. [بالعبرية]
- [133] Yuval Ben-Bassat and Gur Alroey, "The Zionist–Arab Incident of Zarnuqa 1913: A Chronicle and Several Methodological Remarks," *Middle Eastern Studies*, Vol. 52, No. 5

(2016): 787-803.

[134] Aida Essaid, Zionism and Land Tenure in Mandate Palestine (London and NY: Routledge, 2013), 143-144.

[135] Ibid., 170.

[136] آفner كهانوف، أعلاوا نيس تسيونا، من حكايات آفner كهانوف (نيس تسيونا: آفner كهانوف، 1998)، 73. (بالعبرية)

[137] المصدر نفسه، 71-70.

[138] المصدر نفسه، 75-74.

[139] المصدر نفسه.

[140] المصدر نفسه.

[141] عادل الريتاوي، "علي بدر، أحد مجاهدي ثورة 1936، من قرية صرفند"، أرشيف المتحف الفلسطيني الرقمي، مجموعة عادل الزواوي: 0125.01.1116. (د.ت)

[https://www.palarchive.org/index.php/Detail/objects/216361/lang/ar\\_PS\\_](https://www.palarchive.org/index.php/Detail/objects/216361/lang/ar_PS_)

[142] محمد حسن إبراهيم، مصدر سبق ذكره.

[143] "صرفن드 الخراب: كمين للمجاهدين"، فلسطين في الذكرة، 29 حزيران 2008، شوهد في 13 تشرين الأول 2025.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/Story10235.html>

[144] كمال زكارنة و جمانة أبو حليمة، شاهد على النكبة: شاهد احتلال، شهادات حية (عمان: دار أمجد للنشر والتوزيع، 2016)، 70.

[145] C. Guy Powles, The New Zealanders in Sinai and Palestine, [Kindle ed.]. (Naval & Military Press, 2015), Kindle Locations 3406-3407.

[146] صحيفة 'بريد اليوم' الصهيونية، "في الصحافة العربية"، السنة 3، العدد 61 (5 كانون الأول 1920)، 2، صحيفة 'بريد اليوم'، أرشيف "المكتبة الوطنية الصهيونية"، شوهدت في 13 تشرين الأول 2025 (بالعبرية)

<https://www.nli.org.il/he/newspapers/dhy/192001/05/12//page/2/?e=-----he-20--1--img->

[txIN%7CtxTI-----1](#)

- [147] المصدر نفسه.
- [148] عاموس دانيالى، ملكة بلا تاج: حكاية عن "الموشافا" والعائلة (القدس: عاموس دانيالى، 2006)، 192.
- [149] .Ben-Bassat and Alroey, op. cit., 787-803 [149]
- [150] .Halperin, op. cit., 163 [150]
- Oren Kessler, Palestine 1936: The Great Revolt and the Roots of the Middle East Con- [151]  
.Rowman and Littlefield, 2023), Kindle Locations 3319-3321.).Kindle ed[ ,flict  
.Ibid., 86 [152]
- [153] غسان كنفاني، "ثورة 1936-1939 في فلسطين: خلفيات و تفاصيل و تحليل،" في الدراسات السياسية، المجلد الخامس (قبرص: دار منشورات الرمال، 2015)، 451.
- [154] "Map of Iraq Showing the Oil Concessions of the Anglo Persian Oil Company (A.P.O.C.), the Iraq Petroleum Company (I.P.C.) and British Oil Development Company (B.O.D.) and Proposed Pipe Lines of the I.P.C." [31r] (1/2), British Library: India Office Records and Private Papers, IOR/L/PS/12/2882, f 31, Qatar Digital Library.
- [https://www.qdl.qa/archive/81055/vdc\\_100045288928.0x00003e](https://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100045288928.0x00003e).
- [155] شلومي شتريت، فرق الليل الخاصة (SNS) في التمرد العربي: مميزات الفرق ونظريتها القتالية كما تجلّت في عملياتها العسكرية في كوكب الهوا ودبورية وخرابة لد العوادين (جامعة بار إيلان- رمات غان: رسالة ماجستير، 2012)، 164.
- [156] عزام محمد الشلي، مقابلة مصورة أجرتها رakan محمود، فلسطين في الذاكرة، 2 شباط 2008.
- <https://www.youtube.com/watch?v=xbLqsTgdPA4&t=1s>.
- [157] شتريت، مصدر سبق ذكره، 41.
- [158] عزام محمد الشلي، مصدر سبق ذكره.
- [159] عزام محمد الشلي، المصدر نفسه.

[160] محمد الأشوح، مقابلة مصورة أجراها غازي اللحام، فلسطين في الذاكرة، 2 تشرين الأول 2004.

[https://www.youtube.com/watch?v=VcpIz2e\\_ZQ0&t=643s](https://www.youtube.com/watch?v=VcpIz2e_ZQ0&t=643s)

[161] عزام محمد الشلبي، مصدر سبق ذكره.

[162] جريدة الاتحاد، العدد 41/58، 18 تموز 1984، 5.

[163] Palestine Post. "Puncturing the I.P.C. Pipe Line Nine Times in Five Nights," Vol. 14, No. 3679 (21 June 1938), 4 Historical Jewish Press, NLI, accessed October 13, 2025.

<https://www.nli.org.il/en/newspapers/pls/193801/21/06//article/47?srpos=2&e=-----en-20-pls-1--img-txIN%7CtxTI-I.P.C+-----1.>

[164] Gilbert Herbert, "Crossroads: Imperial Priorities and Regional Perspectives in the Planning of Haifa, 1918–1939," *Planning Perspective*, Vol. 4, No. 3 (1989): 313-331.

[165] شتريت، مصدر سبق ذكره، 43.

[166] Matthew Hughes, *Britain's Pacification of Palestine: The British Army, the Colonial State, and the Arab Revolt, 1936–1939* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019), 85.

[167] Shapira, op. cit., 251- 252.

[168] Preston Jordan Lim, "The Prickly Thorn: A Re-evaluation of Orde Wingate and the Special Night Squads," *Small Wars & Insurgencies*, Vol. 29, No.1 (2018): 91-111.

[169] John Bierman and Colin Smith, *Fire in the Night: Wingate of Burman, Ethiopia, and Zion* (Pan Macmillan, 2012) (New York: Random House, 1999), 109.

[170] Paul Scarlata, "Military & Police Handgun Cartridges of South Africa," *Firearms (Shotgun) News*, 1 March 2010, accessed on The Free Library by Farlex 8 October 2025.

<https://www.thefreelibrary.com/Military+%26+police+handgun+cartridges+of+South+Africa.-a0221093742.>

[171] شتريت، مصدر سبق ذكره، 58.

[172] شلومي شتريت، أكبر "حرب صغيرة": الصراع العسكري البريطاني ضد الثورة العربية في فلسطين،

(جامعة بار إيلان- رمات غان: رسالة دكتوراه، 2020)، 327 . [بالعبرية]

[173] Canadian War Records Office, Infantry Section Leading, 1938 (Ottawa: E. Cloutier, Printer to the King, 1941), 12.

[174] Birman and Smith and , Fire in the Night.., op.cit., 94

[175] Ibid, 91.

[176] Hughes, Britain Pacification of Palestine..., op. cit., 281.

[177] أبراهم عكيفا، أورد وينغيت: حياته وعمله (تل أبيب: دار معرفوت، 1993)، 42 . [بالعبرية]

[178] Uri Ben-Eliezer, The Making of Israeli Militarism (Indiana University Press, 1998), 26.

[179] The National Archives, MacMichael to MacDonald, 'Draft Commentary on Husseini letter' (6), 22 Sep 1939, TNA WO 32/4562.

[180] Caroline Elkins, "The 'Moral Effect' of Legalized Lawlessness: Violence in Britain's Twentieth-Century Empire," Historical Reflections/Réflexions Historiques, Vol. 44, No. 1 (2018): 78-90.

[181] Robert (Rex) King-Clark, Free for a Blast (UK: Grenville Books Ltd., 1988), 177.

[182] مصطفى عباسي وأمير غولدشين، "جسر ضيق على مستنقعات الحولة: كامل حسين بين فكي كمامنة النضال القومي أيام الانتداب،" مجلة 'إسرائيل' لدراسة الصهيونية ودولة إسرائيل: تاريخ وثقافة ومجتمع، العدد 24 .243-269 (2016):

[183] King-Clark, op.cit.,191.

[184] Ibid.

[185] Tom Segev, One Palestine, Complete: Jews and Arabs Under the British Mandate [ eBook ed.] (London: Hachette UK, 2025; Original work published in 2000 by Metropolitan Books).

[186] King-Clark, op.cit.,191.

[187] Ibid,198.

[188] Kessler, op. cit., 6073-6075.

[189] غالب عيد يعقوب، مقابلة مصورة أجراها عبد المجيد دنديس، **فلسطين في الذاكرة**، 25 حزيران 2004.

[https://www.youtube.com/watch?v=rybsJBFJR1o.](https://www.youtube.com/watch?v=rybsJBFJR1o)

[190] شريف السيد أحمد، مقابلة مصورة أجراها سعيد عجاوي، **فلسطين في الذاكرة**، تموز 2007.

[https://www.youtube.com/watch?v=87mF8LVILN4&t=10960s.](https://www.youtube.com/watch?v=87mF8LVILN4&t=10960s)

[191] فادي السلايمة ومجيدي السعدي، **حطين ريحانة صلاح الدين** (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2011)، .58.

[192] المصدر نفسه، .56.

[193] شرعيت، مصدر سبق ذكره، .87.

[194] Hughes, Britain's Pacification of Palestine..., op. cit., 285.

[195] Matthew Hughes, "Terror in Galilee: British-Jewish Collaboration and the Special Night Squads in Palestine during the Arab Revolt, 1938–39," *The Journal of Imperial and Commonwealth History*, Vol. 43, No. 4 (2015): 590–610.

[196] يرد كلام الحاجة أم علي في ذات المقابلة المذكورة أعلاه مع السيد شريف السيد أحمد.

[197] [https://www.bitmuna.com/?s=%D7%A4%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%95%D7%AA%+D7%94%D7%9C%D7%99%D7%9C%D7%94&jig\\_custom\\_search=nextgen](https://www.bitmuna.com/?s=%D7%A4%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%95%D7%AA%+D7%94%D7%9C%D7%99%D7%9C%D7%94&jig_custom_search=nextgen)

[198] Mordechai Bar-On, *A Never-ending Conflict: A Guide to Israeli Military History* (London: Bloomsbury Publishing, 2004), 33–34.

[199] [https://www.bitmuna.com/?s=%D7%A4%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%95%D7%AA%+D7%94%D7%9C%D7%99%D7%9C%D7%94&jig\\_custom\\_search=nextgen](https://www.bitmuna.com/?s=%D7%A4%D7%9C%D7%95%D7%92%D7%95%D7%AA%+D7%94%D7%9C%D7%99%D7%9C%D7%94&jig_custom_search=nextgen)

[200] عاموس كينان، **الطريق إلى عين حارود** (تل أبيب: عام عوفيد، 1984). (بالعبرية)

[201] عاموس كينان، "الطريق إلى عين حارود،" ترجمة أنطوان شلحت، **الكرمل**، العدد 13 (1984): 199–260.

## المراجعية

### بالعربيّة

- أبو بكر، أمين مسعود. **ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918**. عمان: عبد الحميد شومان، ط 1، 1996.
- زكارنة، كمال، وجمانة أبو حليمة. **شاهد على النكبة: شاهد احتلال، شهادات حية**. الأردن: دار أمجد للنشر والتوزيع، 2016.
- الحوت، بيان نويهض (إعداد)، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية من أوراق أكرم زعيم**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984.
- السلايمة، فادي ومجدي السعدي. **حطين ورياحنة صلاح الدين**. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2011.
- العامری، سعاد ورنا عنانی. **عمارة قری الكراسي: من تاريخ الإقطاع في ريف فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**. رام الله: رواق- مركز المعمار الشعبي، 2003.
- كامل، مصطفى. **الشمس المشرقة**. القاهرة: مطبعة اللواء، ط 1، 1904.
- كنفاني، غسان. "ثورة 1939-1936 في فلسطين: خلفيات وتفاصيل وتحليل." في **الدراسات السياسية**، المجلد الخامس. قبرص: دار منشورات الرمال، 2015.
- كينان، عاموس. "الطريق إلى عين حارود،" ترجمة أنطوان شلحات، **الكرمل**، العدد 13 (1984): 199-260.
- نديم، شكري محمود. **حرب فلسطين**. بغداد: النبراس للنشر والتوزيع، 1965.

## بالعبرية

- إلياف، مردخي (محرر). حصار وضيق: أرض إسرائيل في الحرب العالمية الأولى. القدس: يد اسحق بن تسفى، 1991.
- بلدية نيس تسيونا، "نيس تسيونا" مدينة في قلب موشافا. "نيس تسيونا": بلدية نيس تسيونا، 2005.
- بولين، إبراهام. الأوائل في الدفاع: قصة "الهاجناء" في قطاع ريشون لتسيون. ريشون لتسيون: منظمة أعضاء "الهاجناء" في ريشون لتسيون، 1990.
- دانييل، عاموس. ملكة بلا تاج: حكاية عن "الموشاف" والعائلة. القدس: عاموس دانيال، 2006.
- روخييل، رحيل. "قيادة الجنرال سير هنري شوفل في مستعمرة رحوفوت في معارك مشارف القدس"، في المؤتمر التاسع لجمعية إرث الحرب العالمية الأولى في إسرائيل 1918-19-18 تشرين الثاني 2010. تحرير: عزرا فيمنتال وأفي ششنون. القدس: أرائيل للنشر، 2011.
- شرتيت، شلومي. أكبر "حرب صغيرة": الصراع العسكري البريطاني ضد الثورة العربية في فلسطين، 1939-1936. جامعة بار إيلان- رمات غان: رسالة دكتوراه، 2020.
- شرتيت، شلومي. فرق الليل الخاصة (SNS) في التمرد العربي: مميزات الفرق ونظريتها القتالية كما تجلت في عملياتها العسكرية في كوكب الهوا ودبورية وخرابة لد العوادين. جامعة بار إيلان- رمات غان: رسالة ماجستير، 2012.
- شيفف، رونين. بَرَّات مُذْوِجَة. "تل أبيب": وزارة "الدفاع"- قسم النشر، 2021.
- عباس، مصطفى وأمير غولدشين، "جسر ضيق على مستنقعات الحولة: كامل حسين بين فكي كمامشة النضال القومي أيام الانتداب"، "مجلة إسرائيل" لدراسة الصهيونية والدولة: تاريخ وثقافة ومجتمع، العدد 24 (2016): 243-269.
- عكيفا، إبراهام. أورد وينغيت: حياته وأعماله. "تل أبيب": دار معرفوت، 1993.
- كهانوف، آفner. أعلاوا نيس تسيونا، من حكايات آفner كهانوف. "نيس تسيونا": آفner كهانوف، 1998.
- كينان، عاموس. الطريق إلى عين حارود. "تل أبيب": عام عوفيد، 1984.
- ماروم، روبي. "الحرب العالمية الأولى في سهل سارونة: ذكريات وإرث"، في سهل سارونة وانطلاق معركة مجدو في الحرب العالمية الأولى، تحرير عران تيروش. القدس: أرائيل للنشر، 2015.
- هوربيتز، بوعزيز. رائحة الأرض السائية: ريشون لتسيون 1882-1922. 'ريشون لتسيون': لجنة المزارعين في ريشون لتسيون، 2014.

## بالإنجليزية

- Andrews, Ted. "Surafend, The Massacre: Palestine, 10 December 1918," Desert Column: Australian Light Horse Studies Centre , 4 August 2009, accessed 21 October 2025. (Anonymous diarist "Kiwi Tropper", Wellington, 1967).
- Anglim, Simon. Orde Wingate and the British Army, 19221944-. London: Routledge, 2015.
- Aydin, Cemil. "A Global Anti-Western Moment? The Russo-Japanese War, Decolonization, and Asian Modernity" in Competing Visions of World Order: Global Moments and Movements, 1880s–1930s. New York: Palgrave Macmillan, 2007.
- Bar-On, Mordechai. A Never-ending Conflict: A Guide to Israeli Military History. Bloomsbury Publishing, 2004.
- Beckett, Ian F. W. "Indigenous Resistance in the Anglo-Zulu War." Historical Encounters, Vol. 10, No. 2 (2023): 1221-.
- Ben-Bassat, Yuval. Petitioning the Sultan: Protests and Justice in Late Ottoman Palestine 18651908-. London: I.B.Tauris, 2014.
- Ben-Bassat, Yuval and Gur Alroey. "The Zionist–Arab Incident of Zarnuqa 1913: A Chronicle and Several Methodological Remarks," Middle Eastern Studies, Vol. 52, No. 5 (2016): 787803-.
- Ben-Eliezer, Uri. The Making of Israeli Militarism. Bloomington: Indiana University Press, 1998.
- Benvenisti, Meron. "Bovaria Babriyya: a Frankish Residue on the Map of Palestine," in Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem, ed., Binyamin Ze'ev Kedar, Hans Mayer, Raimund Charles Scmail and Joshua Prawer. Yad Izhak Ben-Zvi Institute, 1982.
- Bierman, John and Colin Smith. Fire in the Night: Wingate of Burman, Ethiopia, and Zion. New York: Random House, 1999.
- Bou, Jean. "A Cavalry Victory? Cavalry in the Historiography of the Sinai-Palestine Campaign" in Palestine and World War I: Grand Strategy, Military Tactics and Culture in War, ed. Haim Goren, Eran Dolev and Yigal Sheffy. Bloomsbury Publishing, 2014.
- \_\_\_\_\_. "Cavalry Combat Mounted Warfare in Palestine" in The Australian Imperial Force, by

Jean Bou, Peter Dennis and Paul Dalgleish. South Melbourne, Victoria: Oxford University Press, 2016.

- Brown, Michael. "Cold Steel, Weak Flesh: Mechanism, Masculinity and the Anxieties of Late Victorian Empire," *Cultural and Social History*, Vol. 14, No. 2 (2017): 155181-.
- Caswell, Liam. *Born Soldiers Who March Under the Rising Sun: The Russo-Japanese War, Britain's Military Observers, and British Impressions Regarding Japanese Martial Capabilities Prior to the First World War*. Halifax: Dalhousie University, 2017.
- Chomsky, Noam. *Pirates and Emperors, Old and New: International Terrorism in the Real World*. London: Pluto Books, 2016.
- Chun, Matt. "Enduring Silence: Anzac Day and the Frontier Wars," *Overland*, 3 May 2018, accessed 7 October 2025.

<https://overland.org.au/201805//enduring-silence-anzac-day-and-the-frontier-wars/>.

- Daley, Paul. *Beersheba Centenary Edition: Travels through a Forgotten Australian Victory*, Kindle ed. Melbourne University Publishing, 2017.
- Drea, Edward J. *Japan's Imperial Army: Its Rise and Fall*. Lawrence: University Press of Kansas, 2009.
- Elkins, Caroline. "The 'Moral Effect' of Legalized Lawlessness: Violence in Britain's Twentieth-Century Empire," *Historical Reflections/Réflexions Historiques*, Vol. 44, No. 1 (2018): 7890-.
- El-Nimr, Sonia Fathi. *The Arab Revolt of 19361939- in Palestine: A Study Based on Oral Sources*. Ph.D Diss., University of Exeter, 1990.
- Essaid, Aida. *Zionism and Land Tenure in Mandate Palestine*. London and NY: Routledge, 2013.
- Fantauzzo, Justin and Robert L. Nelson. "A Most Unmanly War: British Military Masculinity in Macedonia, Mesopotamia and Palestine, 1914–18," *Gender & History*, Vol. 28, No. 3 (2016): 587603-.
- Freulich, Roman. *Soldiers in Judea: Stories and Vignettes of the Jewish Legion*. Herzl Press, 1965.
- Gammage, Bill. *The Broken Years: Australian Soldiers in the Great War*. Australian National University Press: 1974.
- Gibson, Padraig. "Imperialism, ANZAC Nationalism and the Aboriginal Experience of Warfare," *Cos-*

mopolitan Civil Societies Journal, Vol. 6, No. 3 (2015)63-82 :.

- Gilmore, Allison B. *You Can't Fight Tanks with Bayonets: Psychological Warfare against the Japanese Army in the Southwest Pacific*. Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1998.
- Gorzalczany, Amir. "A Site from the End of the Byzantine and the Early Islamic Periods at Sarafand el-Kharab, Nes Ziyyona," *Atiqot/מִנְזָה*, Vol. 46 (2004): 130-131.
- Graftman, Zachary D. *The Battle of Beersheba: Strategic and Tactical Pivot of Palestine*. Virginia: University of Liberty, 2013.
- Halperin, Liora R. *The Oldest Guard: Forging the Zionist Settler Past*. Redwood City: Stanford University Press, 2021.
- Harriman, Bill. *The Arisaka Rifle*. London: Bloomsbury Publishing, 2019.
- Herbert, Gilbert. "Crossroads: Imperial Priorities and Regional Perspectives in the Planning of Haifa, 1918–1939," *Planning Perspective*, Vol. 4, No. 3 (1989): 313331-.
- Hodges, Paul. "They Don't Like It Up'em!: Bayonet Fetishization in the British Army During the First World War," *Journal of War & Culture Studies*, Vol. 1, No. 2 (2008): 123138-.
- Holbrook, Carolyn. *Anzac: The Unauthorised Biography*, Kindle ed. Sydney: NewSouth, 2014.
- Horswell, Mike. *The Rise and Fall of British Crusader Medievalism, c. 1825–1945*. London: Routledge, 2018.
- Hughes, Matthew. *Britain's Pacification of Palestine: The British Army, the Colonial State, and the Arab Revolt, 1936–1939*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.
- Hughes, Matthew. "Terror in Galilee: British-Jewish Collaboration and the Special Night Squads in Palestine during the Arab Revolt, 1938–39," *The Journal of Imperial and Commonwealth History*, Vol. 43, No. 4 (2015): 590610-.
- \_\_\_\_\_\_. "Fieldmarshal Viscount Allenby: One of the Great Captains of History?" in *Palestine and World War I: Grand Strategy, Military Tactics and Culture in War*, ed. Haim Goren, Eran Dolev and Yigal Sheffy. London: Bloomsbury Publishing, 2014.
- Huneidi, Sahar. *A Broken Trust*. London: I.B Tauris, 2001.

- Ingrams, Doreen (ed.). *Palestine Papers, 19171922-: Seeds of Conflict*. London: Eland Pub Ltd., 2009. (Originally published 1973, New York: G. Braziller).
- Jacob, Frank. *The Russo-Japanese War and Its Shaping of the Twentieth Century*. London: Routledge, 2017.
- Jones, Karen. *A Cultural History of Firearms in the Age of Empire*. London: Routledge, 2016.
- Karlinsky, Nahum. *California Dreaming: Ideology, Society, and Technology in The Citrus Industry of Palestine, 18901939-*. New York: SUNY Press, 2012.
- Kessler, Oren. *Palestine 1936: The Great Revolt and the Roots of the Middle East Conflict* [ Kindle ed.] Rowman and Littlefield, 2023.
- King-Clark, Robert (Rex). *Free for a Blast*. UK: Grenville Books Ltd., 1988.
- Kinloch, Terry. *Devils on Horses: In the Words of the Anzacs in the Middle East 191619-*. Exisle Publishing, 2016.
- Kressel Gideon M. and Reuven Aharoni. *Egyptian Émigrés in the Levant of the 19th and 20th Centuries*. JCSFA, 2013.
- Liebreich, Freddy. *Britain's Naval and Political Reaction to the Illegal Immigration of Jews to Palestine, 19451949-*. London: Routledge, 2004.
- Lim Preston, Jordan. "The Prickly Thorn: A Re-evaluation of Orde Wingate and the Special Night Squads," *Small Wars & Insurgencies*, Vol. 29, No.1 (2018): 91111-.
- Milnes, D. John. *Imperial Soldiers? The New Zealand Mounted Rifles Brigade in Sinai and Palestine 1916191-*. MA diss., Dunedin: University of Otago, 1999.
- Morris, Benny. *Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict, 18811998-*. Vintage ed., 2011. (Original work published 1999).
- Nordlund, Alexander M. "A War of Others: British War Correspondents, Orientalist Discourse, and the Russo-Japanese War, 1904–1905," *War in History*, Vol. 22, No. 1 (2014): 28–46. (Original work published 2015).

- Paterson, A. B. Happy Dispatches [eBook ed.] Project Gutenberg Australia, 2021.  
<https://gutenberg.net.au/ebooks06/0603451h.html> . (Original work published 1935).
- Parker, Paul (ed.). From Geraldine to Jericho: John Barker and the Great War. Wellington, 2017.
- Peters-Little, Frances, Ann Curthoys, and John Docker ( eds.). Passionate Histories: Myth, Memory and Indigenous Australia. Aboriginal History Monographs. Canberra: ANU Press 2010, Vol. 21.
- Petrovsky-Shtern, Yohanan. "War and peace of Iosif Trumpeldor: From Zionist Hagiography to Cultural History," Journal of Israeli History, Vol. 39, No. 1 (2021): 1333-.
- Porter, Patrick. "Military Orientalism? British Observers of the Japanese Way of War, 1904–1910," War & Society, Vol. 26, No. 1 (2007): 125-.
- Powles, C. Guy. The New Zealanders in Sinai and Palestine [Kindle ed.] Naval & Military Press, 2015.
- Rose, Michael. 17 Inches Of Imperial Steel: Sword Bayonet Pattern 1907 in British Service, Vol. 1: 19071914-. Gisborne: Victoria, 2017.
- Segev, Tom. One Palestine, Complete: Jews and Arabs Under the British Mandate, [eBook ed.] London: Hachette UK, 2025. (Originally published in 2000 by Metropolitan Books).
- Shapira, Anita. Land and Power: The Zionist Resort to Force, 18811948-. Stanford University Press: 1999.
- Sheffy, Yigal. "Chemical Warfare and the Palestine Campaign, 19161918-," The Journal of Military History, Vol. 73, No. 3 (2009): 803844-.
- Sheffy, Yigal. "A Model Not to Follow: The European Armies and the Lessons of the War" in The Impact of the Russo-Japanese War. London: Routledge, 2006.
- Smith, C., and J. Bierman. Fire in the Night: Wingate of Burma, Ethiopia and Zion. Pan Macmillan, 2012.
- The Marquess of Anglesey, F.S.A. A History of the British Cavalry: Volume 5: Egypt, Palestine and Syria 1914–1919. UK: Leo Cooper, Pen & Sword Books, 1994.
- Uyar, Mesut. The Ottoman Army and the First World War. London: Routledge, 2020.

- Veracini, Lorenzo. *The World Turned Inside Out: Settler Colonialism as a Political Idea*. Verso Books: 2021.
- Ward, Major C. H. Dudley. *The 74th Yeomanry Division in Syria and France*, foreword by Field-Marshal Viscount Allenby. London: John Murray, 1922; Digital ed. in 2012 by Andrews UK Limited.
- Woodfin, Edward C. *Camp and Combat on the Sinai and Palestine Front: The Experience of the British Empire Soldier, 1916- 18*. Hounds Mills, UK: Palgrave Macmillan, 2012.
- Woodward, David R. *Hell in The Holy Land: World War I in the Middle East*. Lexington, Ky: University Press of Kentucky, 2006.

## المقابلات

### التاريخ الشفوي للنكبة الفلسطينية، فلسطين في الذاكرة

- محمد الأشوح، من مهجّري قرية الحمرا- بيسان. مقابلة أجراها غازي اللحام، فلسطين في الذاكرة، 2 تشرين الأول 2006.

[https://www.youtube.com/watch?v=VcpIz2e\\_ZQ0&t=643s](https://www.youtube.com/watch?v=VcpIz2e_ZQ0&t=643s).

- محمد حسن إبراهيم، من مهجّري قرية صرفند الخراب - الرملة. مقابلة أجراها رakan محمود، فلسطين في الذاكرة، 17 أيار 2007.

<https://youtu.be/8buOttta4FoE>.

- محمد سرحان عبد الرحيم، من مهجّري قرية صرفند العمار- الرملة. مقابلة أجراها فؤاز سلامة، فلسطين في الذاكرة، 28 شباط 2005.

<https://youtu.be/QaB-Q6Coszg?list=PL511KO1JPQyvxcaX1Yp6Ys-0VodBpWj21>.

عزام محمد الشلبي، من مهجّري قرية دنة- بيسان. مقابلة أجراها رakan محمود، فلسطين في الذاكرة، 2 شباط 2008. -

<https://www.youtube.com/watch?v=xbLqsTgdPA4&t=1s>.

- غالب عيد يعقوب، من مهجّري قرية لد العوادين- حيفا. مقابلة أجراها عبد المجيد دنديس، فلسطين في الذاكرة، 25 حزيران 2004.

<https://www.youtube.com/watch?v=rybsJBFJR1o>.

- شريف السيد أحمد، من مهجّري قرية قومية- بيسان. مقابلة أجراها سعيد عجاوي، فلسطين في الذاكرة، تموز 2007.

<https://www.youtube.com/watch?v=87mF8LVILN4&t=10960s>.

- يوسف إبراهيم، من مهجّري قرية صرفند الخراب- الرملة. مقابلة مصورة أجراها Rakan محمود، فلسطين في الذاكرة، 3 آب 2008.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/ar/Story12145.html>.

## مقابلة خاصة

موسى عنبر الصرفendi، جيل ثان من قرية صرفند الخراب. مقابلة أجراها جلال رمانة، 20 كانون الثاني 2023. -  
[https://www.facebook.com/share/v/1FAZniFXjU/.](https://www.facebook.com/share/v/1FAZniFXjU/)

## بالإنجليزية

- O'Brien, Edward Harold, As A Private, C Squadron, 3 Light Horse Regiment, 19171919-, interviewed by Major Douglas Wyatt, 1988. Australian War Memorial, (Accession No. S00681).  
<https://www.awm.gov.au/collection/C88026.>

## مصادر أولية وأرشيفية

### بالعربية

- الزيتاوي، عادل. "علي بدر، أحد مجاهدي ثورة 1936، من قرية صرفند"، أرشيف المتحف الفلسطيني الرقمي، مجموعة عادل الزواوي: 0125.01.1116. (د.ت)

[https://www.palarchive.org/index.php/Detail/objects/216361/lang/ar\\_PS\\_.](https://www.palarchive.org/index.php/Detail/objects/216361/lang/ar_PS_.)

- جريدة الاتحاد. العدد 58، 18 تموز 1984، 5.
- سالمنامة ولاية الشام. الدفعة الثالثة، 1288 هجرية (1871 م)، 162.
- عرض حال من قرية زرنوقة- قضاء الرملة وحملة من القرى المجاورة للصدر الأعظم. يشكو جرائم حرس القولونيات اليهودية، 16 تموز 1329 هـ/ 29 تموز 1913 م)، من يوفال بن باسات، التماس السلطان: الاحتجاجات والعدالة في فلسطين العثمانية المتأخرة [بالإنجليزية]. لندن: آي بي توريس، 2013، 224.
- محفوظات ولاية بافاريا الرئيسية، g 235 BS Palestine 12800: 1 (1917 أيار 1917) في معرض جميع حقوق الصور محفوظة مقاييس: 12800.

### بالعبرية

- أرشيف سلطة الآثار الصهيونية، Sarafand el Khrab، ملف رقم: 064480-IL-IAA-ARC
- البريد الصهيوني، طابع بريدي تذكاري لمعركة بئر السبع (اصدار صهيوني- أسترالي مشترك تخليداً لبطولة سلاح الخيالة الأسترالي في معركة بئر السبع عام 1917، أيار 2013)، د. 16545 (بالعبرية)

[https://services.israelpost.co.il/mall.nsf/prodsbycode/706\\_.](https://services.israelpost.co.il/mall.nsf/prodsbycode/706_.)

- صحيفة 'بريد اليوم' الصهيونية، "في الصحافة العربية"، السنة 3، العدد 61، 5 كانون الأول 1920 ، 2. صحيفة 'بريد اليوم'، أرشيف "المكتبة الوطنية الصهيونية"، شوهدت في 13 تشرين الأول 2025.

[https://www.nli.org.il/he/newspapers/dhy/192001/05/12//page/2/?e=-----he-20--1--img-txIN%7CtxTI-----1\\_.](https://www.nli.org.il/he/newspapers/dhy/192001/05/12//page/2/?e=-----he-20--1--img-txIN%7CtxTI-----1_.)

## بالإنجليزية

- Archives New Zealand. "Burning of Surafend Village [1918], Palestine - February 1921 - March 1922" (1921–1922), R3885187.
- Australian-New Zealand Army (AIF and NZEF). The Kia-ora coo-ee: Official Magazine of the Australian and New Zealand forces in Egypt, Palestine, Salonica & Mesopotamia, No. 3 (Kia-Ora Coo-ee, 15 May 1918), National Library of Australia, Nq 940.394098 KIA.
- Australian War Memorial. Australian Imperial Force Unit War Diaries, 1914–18 War, AWM4 329/8/: Egyptian Section, Australian Provost Corps, December 1918, Accession No. RCDIG1003558.
- Australian War Memorial. Australian Raiding, Collection Item C226654, Accession No. RELAWM03768.
- Australian War Memorial. Panorama of the Village of Wady Hanein with the Light Horse Camp in the Background, November 1918, Accession No. B00445.
- Australian War Memorial. Proceedings of a Court of Inquiry Assembled at Wadi Hanein to Enquire into the Part Played by the 2nd Light Horse Brigade in a Raid on Surafend on 10 December 1918, AWM27, 35711/.
- Australian War Memorial. "A Jewish family with three soldiers, including Lieutenant Fred Harold Tomlins (far left) taking tea on the verandah" (Palestine, July 1918) [Photograph]
- Australian War Memorial. "An Australian Soldier With Some Locals Inside The Ruins of an Ancient Building Site. First World War, 19141918-" (Surafend, Palestine, C. 1918). [Photograph]
- Australian War Memorial. "The 2nd Australian Light Horse Brigade Entering the Village of Zernukah" (Palestine, 16 January 1918). [Photograph]
- Australian War Memorial. "Thunder of a light horse charge", 4th Light Horse Brigade at Beersheba on 31st October 1917," (Palestine, February 1918) [Photograph].
- British Census Office in Palestine. "Report and General Abstracts of the Census of 1922, taken on the 23rd of October, 1922", Compiled by J. B. Barron, Superintendent of the Census (Jerusalem, 1923).
- Canadian War Records Office. Infantry Section Leading, 1938 (Ottawa: E. Cloutier, Printer to the King, 1941), 12.

- Clermont-Ganneau, Charles. Archaeological Researches in Palestine During the Years 18731874-With Numerous Illustrations from Drawings Made on the Spot by A. Lecomte Du Noüy, Vol. 2. Palestine Exploration Fund, 1896.
- "Court of Inquiry into Tpr Lowry's Death", 101918/12/, NA WA Series 13/ Box 6 File 1069.
- Elizabeth Thompson (Lady Butler). Jerusalem Delivered: Warwick and Worcester Yeomanry at Huj. (London, May 1919). Watercolor on Canvas. Warwickshire Yeomanry Museum, Military Illustrated, August 1996.
- Fripp, Charles Edwin. The Battle of Isandlwana, 22 January 1879. (England, c. 1885). NAM. 1960-1-182-11. National Army Museum, UK, Global Role gallery.
- Imperial War Museums. "Japanese Type 30 Bayonet, with Scabbard," object no. WEA 604.
- "Jerusalem Won at Bayonet's Point; British Would Not Reply to Artillery Fire for Fear of Damaging the City. American Colony Saved," The New York Times, 18 December 1917. TimesMachine.
- National Archives of Australia. Personal. A. S. Mulhall The Surafend Incident—December 1918 Correspondence, A981, PERS 237.
- Palestine Post. "Puncturing the I.P.C. Pipe Line Nine Times in Five Nights," vol. 14, no. 3679 (21 June 1938), 4 Historical Jewish Press, NLI.
- Shikō. The Occupation of the Harbor of Port Arthur: At Long Last, after Unremitting Bombardment of the Impregnable Fortress by the Elite of our Army and Navy, the Stronghold Fell. (Tokyo: Naraha Sannosuke, 1904). Woodblock print. Saint Louis Art Museum, St. Louis. Object no. 336:2010a-c.
- "The National Archives". MacMichael to MacDonald, 'Draft Commentary on Husseini letter' (6), 22 Sep 1939, TNA WO 324562/.
- "Unofficial History of The A. I. F." Smith's Weekly (Sydney, NSW : 1919 - 1950) 24 June 1933: 16.
- "Weizmann Sends Warning to British General," The Center of Israel education, 26 January 1919, accessed 7 October 2025. <https://israeled.org/weizmann-sends-warning/>.
- Wynton Herbert French Collection. A Photo of the Village of Surafend, Palestine. Surafend, Palestine, ca. 1918–1919. Wairarapa Archives, Masterton District Library, New Zealand. 0619-3/78-.

## موقع إلكترونية

### بالعربية

- "صرفن드 الخراب: كمين للمجاهدين،" فلسطين في الذاكرة، 29 حزيران 2008، شوهد في 13 تشرين الأول 2025.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/Story10235.html>.

- علي الصرفني، "حرقة صرفن드 الخراب،" فلسطين في الذاكرة، 29 آب 2009، شوهد في 13 تشرين الأول 2025.

<https://www.palestineremembered.com/al-Ramla/Sarafand-al-Kharab/Story14899.html>.

### بالإنجليزية

- "Arisaka Rifle", Internet Movie Firearms Database, Last modified 19 August 2025, accessed 13 October 2025.

[https://www.imfdb.org/wiki/Arisaka\\_Rifle](https://www.imfdb.org/wiki/Arisaka_Rifle).

- "Golden Kamuy", Wikipedia contributors, The Free Encyclopedia, Last modified 10 August 2025, accessed 13 October 2025.

[https://en.wikipedia.org/wiki/Golden\\_Kamuy](https://en.wikipedia.org/wiki/Golden_Kamuy).

- "Hellfire R9X Missile: The Mystery Weapon," Civils Daily, 3 August 2022, accessed 6 October 2025.

<https://www.civilsdaily.com/news/hellfire-r9x-missile-the-mystery-weapon/>.

- Friedman, Herbert A. "The United States PSYOP Organization in the Pacific During World War II," Psywarrior, 26 January 2005, accessed 6 Oct 2025.

<https://www.psywarrior.com/PSYOPOrgWW2Pac.html>.

- Scarlata, Paul. "Military & Police Handgun Cartridges of South Africa," Firearms (Shotgun) News, 1

March 2010, accessed on The Free Library by Farlex 8 October 2025.

<https://www.thefreelibrary.com/Military+%26+police+handgun+cartridges+of+South+Africa.-a0221093742.>

- Schmitt, Eric. "U.S. Used Missile With Long Blades to Kill Qaeda Leader in Syria," The New York Times, 24 June 2020, Updated 20 July 2021, accessed 6 Oct 2025.

[https://www.nytimes.com/2020/06/world/middleeast/syria-qaeda-r9x-hellfire-missile.html.](https://www.nytimes.com/2020/06/world/middleeast/syria-qaeda-r9x-hellfire-missile.html)

- Wishart, Alison. "Good Friday, 1915," Australian War Memorial, 1 April 2015, accessed 8 October 2025.

<https://www.awm.gov.au/articles/blog/good-friday-1915#:~:text=One%20hundred%20years%20ago%2C%20in,Accession%20Number:%20C00525.>

## الخرائط

- "Map of Iraq Showing the Oil Concessions of the Anglo Persian Oil Company (A.P.O.C.), the Iraq Petroleum Company (I.P.C.) and British Oil Development Company (B.O.D.) and Proposed Pipe Lines of the I.P.C." [31r] (12/), British Library: India Office Records and Private Papers, IOR/L/PS/122882/, f 31, Qatar Digital Library.

[https://www.qdl.qa/archive/81055/vdc\\_100045288928.0x00003e.](https://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100045288928.0x00003e)

- سرية المسح الميداني في فيلق المهندسين الملكيين في الجيش البريطاني، 1917-1919. خريطة ميدانية، مع تحديد الباحث لمواقع معارك الحرب العالمية الأولى في قرية بيت حنينا.
- خريطة عسكرية لمعركة غزوة الثالثة، للمؤرخ العسكري العراقي شكري نديم.
- سرية المسح الميداني في فيلق المهندسين الملكيين في الجيش البريطاني (1917-1919)، خريطة ميدانية، مع تحديد الباحث لقرية صرفند الخراب والمستعمرات المحيطة.
- خريطة عسكرية نيوزيلندية لمعركة عيون قارة 14-11-1917.
- خريطة فلسطين، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، 1966. مقياس رسم 1:250,000، خططها ودقتها سعيد الصباغ، مع

تحديد الباحث لمسار خط التابلين من كركوك إلى حيفا.

- خريطة لمسار خط النفط العراقي من كركوك إلى حيفا. المكتبة البريطانية: سجلات مكتب الهند والأوراق الخاصة.
- خريطة لمسار خط النفط العراقي من كركوك إلى حيفا، مكتبة قطر الرقمية، 1933.

## هذا الكتاب

هذه سيرة تاريخية فلسطينية الهوى لسنجة سِيَّ يامنة (حربة بريطانية من الحرب العالمية الأولى- طراز 1907) كانت "سِيَّ يامنة" قد اغتنمتها من أحد مواقع معارك الحرب العظمى في قريتنا بيت حنينا- القدس، لتصير بيتها سلاحاً وأداة تستخدمها في حياتها اليومية، أقصى فيها التاريخ العسكري والثقافي للحربة بصفتها رمزاً للإمبريالية البريطانية. بدأت بكتابه هذه السيرة من الحرب الروسية اليابانية (1904-1905) التي طُرُّقت الحربة البريطانية (من طراز 1907) نتيجة لدورها العسكرية والاستشرافية مستنسخة حربة أريساكا اليابانية، وتتبع نشوء وتطور المعاني الأيديولوجية للحربة في الثقافة الإمبريالية وفي الحروب الاستعمارية. ومن ثمَّ حملت ما جمعت من شتات هذا التاريخ الكوني للحربة وعدت به إلى فلسطين، إلى الحجر الأموي الريفي الذي تفتحَّ وعيٌ فيه وبه لمعرفة نظام الأشياء، أساجل هذه الكونية تأويلاً ونقداً في ثلاث حالات دراسية/ لحظات دموية، هي: سيرة الحربة في معارك الخيالة الكبرى على أرض فلسطين في الحرب العظمى وما حملته الحربة من تميز خاص في هذه الحرب بصفتها حرباً إمبريالية "مقدسة وفروسية"; وال الحربة سلاحاً لlahوت الذِّبح الإمبريالي في نشوء نموذج/ فكرة المجزرة الأنجلو-صهيونية في بلادنا فلسطين في دراسة مفصلة لمجزرة صرفند الخراب (10-12-1918): وأيديولوجيا الحربة (من طراز 1907) في إرهاب فرق الليل الأنجلو-صهيونية الخاصة التي أسسها وينغيت 1938) لقمع الثورة الفلسطينية الفلاحية الكبرى في لحظة تقاطعها مع السيرة الدموية المديدة للنفط العربي (النفط-المجزرة)، هذه الفرق التي شَكَّلت النواة الأولى للجيش الصهيوني وطبعته بطبع المجزرة المستمرة.